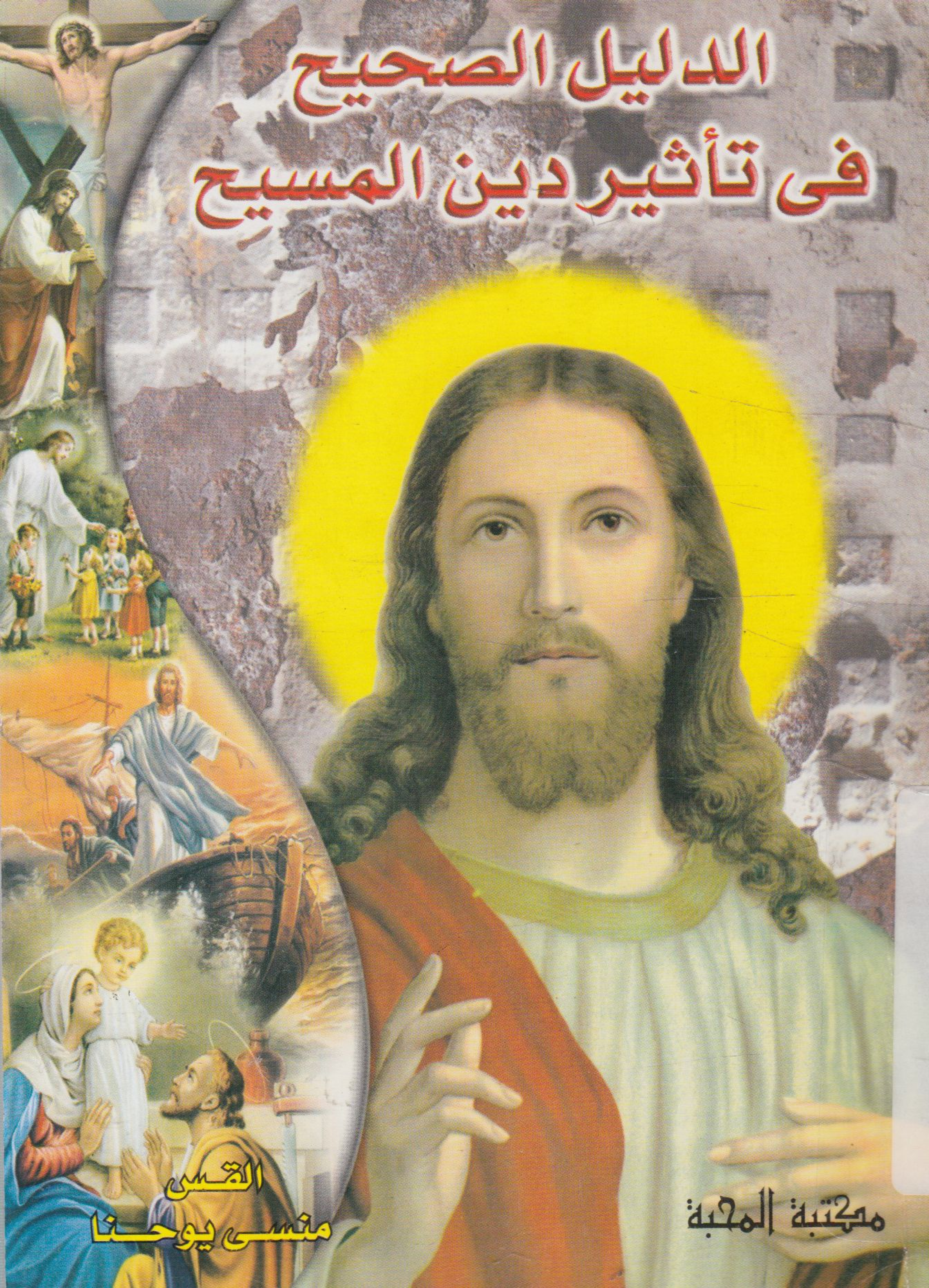
الدليل الصحيح في تأثير دين المسيح



القس
منسى يوحنا

مكتبة المحبة

الدليل الصحيح
فى تأثير دين المسيح

القس منسى يوحنا



صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقــدمة

منـذ ألفـى سنـة تـقر يباً رن فى فضاء هذه الأرض صوت يقول « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام و بالناس المسرة »

منذ ألفى سنة هبط الجوهر الالهى للاتحاد بطبيعة البشر في عالمنا الدنىء .

منذ ألفى سنة جاء الى العالم اعلان الله فى شخص يسوع المسيح معلنـا للبشر محبتـه ، وكـانـت حيـاتـه قصيرة الأمد لا تتجاوز الثلاثة والثلاثين حولا من بيت لحم الى الجلجثة لم يقض منها الا ثلاث سنوات فى خدمته العامة ، ولكن تلك الحياة القصيرة وذلك الموت الذى ماته على أثرها أحدثا انقلابا عظيا فى العالم فكانت الأمم وقتئذ متشبعة من روح الأنانية قعيدة الظلمة الحالكة وحضينة الشر المدلهم لا يرى فيها الا الشقاء والفساد وكان العالم كله مسوقا بسلطان القوة الغاشمة ولا أثر فيه لناموس المحبة .

فجاء المسيح برسالته وأعلن محبة الله ورغبته فى ايواء كل شارد فكان لاعلانه رنة فرح ورجاء دوى صداها فى كل المسكونة

يسوع المسيح ابن الله صار انسانا فاستبدل عرش المجد بمذود بيت

لحم ، وآثر سخريات الناس على هتاف الأجواق السمائية ورضى باكليل الشوك بدلا عن اكليل العظمة والابهة . وانتسب الى عائلة فقيرة تمتهن حرفة النجارة وعاش بين شعب مرذول ومحتقر كان يتجرع وقتئذ كؤوس الذل مترعة تحت نير الامبراطورية الرومانية

ولما كان طفلا هرب مع والديه الى مصر طلبا فى النجاة و بعد أن أتم مهمته قضى كمجرم على الصليب ولكن قبل أن يموت أوعز الى نفر قليل من الصيادين والفقراء أن يبشروا بحياته وبموته ورسالته ففعلوا ومن ذلك الحين نرى الممالك والامم تعتنق المسيحية الواحدة بعد الاخرى .

ولم يكن هناك سبب يجعل الناس يؤمنون بالمسيحية إلا لان السيد المسيح أتى بالتعاليم المثلى التى كانت دواء شافيا لعلل البشر الكثيرة التى انتابتهم والتى لبثوا يئنون منها قرونا عديدة . حتى أن من يقارن حال العالم قبل ظهور المسيحية وحاله بعد ظهورها يرى الفرق واضحا لكل ذى عينين فالآداب تحسنت والعلوم أزهرت والعادات ارتقت والضمائر اطمأنت ولم نعد نسمع أنات المظلومين وزفرات البائسين فالعدل انتشر والملاجىء شيدت لايواء العجزة والمقعدين وشعر الناس بواجباتهم نحو بعضهم فطفق العالم يرشد الجاهل وأخذ البصير يقود الاعمى . كل هذه وغيرها ثمار جناها العالم من فضل تأثير المسيحية وفعلها الحسن السريع فى النفوس

أجل . ان المسيحية لا تعمل بقوة السلطان أو البطش أو بالطنطنة والصراخ ولكنها بقوة خفية لا تري . ولا غرو فان بعض القوى الطبيعية فى العالم المادى تتبع هذا المثال . فهل يشعر أحد بدوران الارض حول الشمس ؟ أو هل يشعر أحد بكيفية نموه ؟ أو هل نسمع قوة الجاذبية التى تحدث المد والجزر فى البحار ؟ هكذا قوى المسيحية فانها تفعل فعلها بهدوء ونظام ولا نرى الا نتائجها

رب معترض يقول . اننا نرى الامم المسيحية لا تخلو من الشرور والمساوىء الادبية بل كثيرا ما تتطاير منها شرور الاثم الى غيرها . فنجيب أن الشرور والمساوىء لا مناص منها فى عالم متسع مثل هذا مملوء من المطامع الاشعبية ومشحون بحب الذات والا ثرة بالسلطة . ولسنا من الذين يقولون بامكان استئصال شأفة الشر من العالم . ولكن قادة الرأى العام فى كل البلدان المسيحية يناضلون نضال الابطال ضد كل هذه المساوىء و يرفعون عقيرتهم بالشكوى من دوس الشرائع المسيحية و يعضدهم فى ذلك كل المسيحين الحقيقيين

على أن ازدياد عدد المعترفين بعظمة المسيح ولاهوته مع حقارة شأنه فى مبدأ الامر وثبات المسيحية للان ضد العقبات العديدة التى اعترضتها ، وتأثيرها العجيب وفضلها على العالم مما يبرهن بكل صراحة على حقيقتها ومما يجعلنا نؤمن أكثر فأكثر ان المسيحية هى الدين السماوى الذى أوجده الله فى العالم لخير مخلوقاته ما داموا على الارض و به يصلون مكان الراحة فى العالم الآخر.

الباب الأول

شهادة العظماء للمسيح

« ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » لو ١٩ : ٤٠

في القرن الماضي بعثت مجلة انكليزية تصدر في لندن الى مئة من مشاهير انكلترا في ذلك الوقت سؤالا تطلب فيه من كل منهم أن يحصي لها عشرة من أشهر مشاهير العالم وعظمائه منذ الخليقة الى الان وقد أخذت أحد المسؤولين الحماقة وكان كافراً فأحصى بين الرجال الذين انتقاهم « يسوع المسيح » باعتبار أنه من مشاهير العالم . ولما نشرت المجلة أجوبة الجميع ، استشاط ذلك المجيب غيظا و بعث يقول للمجلة « لماذا لم يعد المسئولون الاخرون (المسيح) من ضمن مشاهير العالم ؟ » فكان جواب التسعة والتسعين : لا يجب علينا أن نحسب المسيح في عداد البشر الناقصين لأنه اله بل هو الذى خلق الجميع ووهبهم ما وهب من المواهب التي عززت شهرتهم ونشرت اسمهم — ثم قالوا : لو كنا نريد أن نحصي المسيح بينهم لما كتبنا على أوراقنا سوى كلمة واحدة هى (المسيح) لأنه باعتباره انسان ظهر في العالم لا يجاريه مخلوق لا في الاعمال ولا في الشهرة ولا في العظمة فهو فوق الجميع الهاً وانسانا . أ هـ

أجل . قد يتوهم الكثير أن جعل اسم يسوع بين أسماء مشاهير

العالم مما يضعف شأنه ولكن يا من تساوون المسيح بعظماء الدهر أقول لكم . أن عظماء العالم ومشاهير الوجود لم يجمعوا على أن يعظموا شخصا بمقدار ما أجمعوا على تعظيم وتمجيد المسيح يسوع . فقد نطقوا سواء كانوا كفرة أو مؤمنين بأنه اله (ولا يستطيع أحد أن يسلك سلوكه أو يعمل الأعمال التى عمل ان لم يكن الهاً) وتحقيقا لقولى هذا سأدرج فى هذا الباب كل ما وقفت عليه فى الكتب أو المجلات من أقوال العظماء بشأن المسيح ليطلع عليها من يجاهرون بانكار الشمس فى ابان الظهيرة فى يوم صفا أديمه ورق نسيمه .

ولا أخفى أن ما دعانى الى الكتابة فى هذا الصدد هو أن أحد الطلبة المصريين الذين انهوا علومهم بمدارس أوربا والذين تشبعوابالمبادىء الكفرية قال لى يوما بينما كنا نتكلم عن عظمة المسيح « أن فولتير أتى بتعاليم أنقى من تعاليم المسيح وعمل فى فرنسا ما لم يستطع المسيح أن يعمله . فالديانة المسيحية اوصلت فرنسا الى أسفل درجات الانحطاط ولكنها بمبادىء فولتير وآرائه نفضت عنها كل خرافات المسيحية التى أخرتها » فأجبته « أن سر سقوط فرنسا فى العصور المظلمة لم يكن منشأة تعاليم المسيحية ولكن كانت علته استبداد الكهنة ، وهؤلاء عملوا ما نهاهم الانجيل عنه ومالم يأمرهم به السيد المسيح . أما تعاليم المسيح من حيث هى تعاليم فهى أفضل الشرائع التى وجدت للان بل هى التى عملت على تغيير الانسانية من صورة فاسدة الى صورة مجيدة وقد شهد بذلك أحد الكتبة المشهورين اذ قال « ان ما جاء فى الكتب المقدسة من التصريحات والبينات يدل دلالة واضحة على أن الذين رافقوا المسيح

اعتبروه الها وانه هو اعتبر نفسه الها وهكذا نظر اليه الذين كتبوا بالهام الروح . ولكن علاوة على هذه الشهادات الكتابية الواضحة فان التأثير الذى تركه يسوع فى العالم يشهد بلاهوته شهادة لا ترد » أهـ

فقال لى ذلك الطالب ان لم يكن فولتير أعظم من المسيح فهو على الأقل نظيره وان يسوع لا يخرج عن كونه عظيما من عظماء العالم . فقلت له إن عظماء العالم أنفسهم أجمعوا على أن المسيح هو أعظم منهم جميعا وانه أعظم من انسان فماذا تقول ؟ . فأجابنى لم أطلع على أقوال واحد منهم بهذا الشأن . ولكننى خدمة للحقيقة جمعت له طائفة كبيرة من أقوال العظماء فى شخص المسيح وقدمتها له حتى اقتنع ، وحرصا عليها وعلى قوتها لأقناع كل مكابر أردنا أن ندونها للقراء وها هى حسب الترتيب الزمنى وهى ثلاثة أقسام : ـــ

(الاول) شهادة عظماء العالم للمسيح قبل ظهوره
(ثانى) شهادتهم له فى ابان ظهوره
(الثالث) شهادتهم له بعد ظهوره .

الفصل الاول

شهادة العظماء للمسيح قبل ظهوره

« مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد » أع ١٤ : ١٧

لقد كانت المواعيد الالهية بظهور مصلح للعالم ومخلص له صريحة هكذا وواضحة ، وبناء عليها كان القدماء يتوقعون بالصبر مجيء ذلك الانسان حتى أن الذين بلغوا الدرجة السامية من العلم ، الذين رأوا فساد العالم وعدم قدرة حكمائه على اصلاحه تحققوا ضرورة مجيء شخص قادر على اصلاحه .

جاء في كتاب « الحكمة الالهية » ص ٨٩ ما نصه :

« لقد قام رجال كثيرون مشهورون بذكاء العقل ووفور الحكمة وصرفوا حياتهم في تطلب سر سعادة البشر الحقيقية ولكن كل منهم ارتأى طريقاً للحصول عليها تخالف ما ارتآه غيره وما من طريق من تلك الطرق فاز بالغرض أو اعتنقه الشعب عامة . وبعد أن صرف أولئك الفلاسفة زمانهم في المناظرة والمشاحنة ، وكل منهم يدعى بأنه اكتشف ذلك السر المصون وقضوا حياتهم بالتعب ضمتهم الأرض كما ضمت أسلافهم فترك الانسان في شقاوته غير مكتف بحاله لأن الفلسفة ابانت داء قلبه العضال

ولم ترشده الى الدواء . ويمكننا أن نستثنى من هؤلاء الفلاسفة سقراط وأفلاطون فانهما لما رأيا بعين الحكمة فساد الطبيعة البشرية وعدم قدرة البشر على اصلاحها ولما تأكد عندهما احتياج الانسان الى دواء ناجح وترسخ فى أذهانهما جودة خالق البشر قالا على رؤوس الاشهاد : لابد من اتيان معلم سماوى يرد الحق والسعادة الى النفس الانسانية » أ هـ

و يظهر من المحاورة الآتية ان افلاطون اعتقد ان الانسان لا يقدر ان يعلم حقيقة الآلهة ولا الطريق المناسبة للعبادة ما لم يأت معلم من السماء .. والمحاورة بين سقراط والسبيادس

قال سقراط : ان الصبر اجمل ، وعليك ان تصطبر حتى يأتى من يعلمك واجباتك للالهة وللبشر .

قال السبيادس : متى يأتى ذلك الوقت ياسقراط ومن يعلمنى . فانى اود كثيراً ان اراه من هو؟

قال سقراط : انه ليهتم بك ولكن ألا ترى ان هوميروس قال عن منرفا انها نزعت الظلمة عن عينى ديوميدس لكى يميز الاله من الانسان . فكذلك على هذا الاله ان ينزع الظلمة اولا من عقلك و يقرب اليك الامور التى تجعلك تميز الخير والشر .

قال السبيادس : لينزع الظلمة وكل ما يريد نزعه منى وأياً كان هذا الشخص انى مستعد أن لا أخالف له قولا اذا كان فى وسعه أن يجعلنى أفضل مما أنا » أ هـ

ومن يطلع على عقيدة اليونان القديمة ومثيولوجيتها لا شك يعلم أنه وجد من يدعى بروميتـه الذى تكبر وأراد أن يساوى نفسه بالآلهة فأرسلت له هذه عقابا يعذبه على جبال القوقاز فشفقت اليونان عليه وأرسلت له هرقل مخلصا فلم يفلح فقال اشيل (١) « الاله وحده هو الذى يأتي و يفتدى هذا البائس »

وقال الشاعر الخالد فرجيل (٢) فى انشودته الرابعة « سترى الانسانية جيلا جديدا بولادة طفل ينزل من السماء و ينتسب الى الآلهة »

وقال كونفوشيوس (٣) « سمعت ان فى الجهات القريبة من آسيا سيظهر رجل صالح يعمل أعمالا غريبة عجيبة لأنه مرسل من السماء و يكون له السلطان على الأرض (راجع كتاب الوسط الغير المتغير ترجمة ايل رموزات صحيفة ١٤٤ و١٤٥)

بل اسمعوا أيضاً ما قاله تاسيت (١) « سينهض الشرق وسيخرج من اليهودية من يسود العالم »

---

(١) اشيلوس ٥٢٥ — ٥٥٦ ق. م اول شاعر راوى شهير. مبتدع فن التشخيص. يفوق سواه فى سمو الافكار

(٢) فرجيل ٧٠ — ١١٩ ب. م هو ميروس الرومان و يسمى بساحر البيان وملك الفصاحة

(٣) كونفوشيوس. فى القرن السادس ق. م اخلاقه ومبادئه صارت اساس التمدن الصينى

(٤) تاسيتوس ٥٥ — ١١٨ ق. م هو من اعظم المؤرخين. العالم مديون له بأكثر معارفه التاريخية لاسيا عن البريطان الاولين وعن الجرمانيين

وقال سوتيون صديق القياصرة « ان الشرق بأجمعه متشبع بفكرة أن من اليهودية سيوجد من يسود العالم »

قال هرمس فى كتابه المعروف بكتاب التسعة أحجار « العدل يبطل والامة القديرة تشغب وتطلب ما ليس لها بحق أيضا والمخزون تظهر أيامه وهو آب يكون فى الارض وتتآمر الامة النجسة بالباطل هم وحكماؤهم على ملك الملوك »

وقال سولس « الملك العظيم النقى بلا دنس رب الانام الذى كل شيء بعد ضيائه . ننظره »

وقال ادنش « واحد هو فقط الضوء الغير المحسوس وهو فى كل وقت الذى يحوز الفكرين والكلمة المولود منه كاملة فى كل شيء وصانعة كل شيء »

وقال أفلاطون (١) « واحد هو الاله العلى فى العلاء الذى كلمته الغير المحسوسة حبلت بها جارية وهذا مثل الفأس المتردية بالنار وسلك فى أحشائها و يدخر العالم و يقربه لأبيه قربانا واسم الجارية العذراء »

---

(١) افلاطون ٤٢٩ ـــ ٣٤٨ ق . م يقول اميرسون « افلاطون هو الفلسفه والفلسفه هى افلاطون »

وقال سقراط (٢) « ان العلى الاعلى يظهر فى الارض و يقيم الموتى و يظهر آياته الربانية و يرجع الى عرشه الرهيب ولا يعودون يرونه الى يوم الحكم العظيم »

وقال ارسطو(٣) فى كتابه المسمى الكنوز « ان كنز الحياة عند أدوناى الاله الذى يظهر فى المسكونه اجمع و يسمع صوته الذين فى القبور و يقومون »

هذه هى شهادات اعظم فلاسفة العصور القديمة عن المسيح اوحتها اليهم روح الاستقراء والبحث ، و بعد أن انتشرت الديانة المسيحية، أخذ الفلاسفة يبحثون فيها بعين التروى فوجدوها الغاية الوحيدة التى صرفوا حياتهم هم ومن سلفهم فى التفتيش عنها ولم يجدوها ومما يؤيد ذلك قول اكلمنضس الاسكندرى « ان الفلسفة ارشدت اليونانيين الى المسيح كما أن الناموس ارشد اليهود اليه »

---

(٢) سقراط ٤٦٩ — ٣٩٩ ق. م فيلسوف الاداب — حياته وموته وتعاليمه هى المدنية الحقيقيه

(٣) ارسطو طاليس ٣٨٤ — ٣٢٢ ق. م باحث فى ما حول الانسان. مؤسس الفلسفة التحليلية

الفصل الثاني

شهادة العظماء للمسيح فى ابان ظهوره

« وكان الجميع يشهدون له » لو ٤ : ٢٢

ولد السيد المسيح فدوى خبره فى أطراف المسكونة وجعلت الامم ترمى اليه الالحاظ وأخذت العيون تجتليه شاخصة اليه ، وما هو إلا زمن قصير حتى عرفوا كل شيء . عرفوا ان هذا هو مخلص الانسان أو كما عرفه أحد المشاهير فى ذلك الوقت « حمل الله الذى يرفع خطية العالم »

ظهر السيد المسيح فهز عروش السلاطين وخلع قلوب أصحاب التيجان وطفق ولاة الرومان فى اليهودية يبعثون المكاتيب تلو المكاتيب عن هذا الشخص العجيب وعن اعمال قدرته الفائقة . وقد عثرنا على ثلاثة مكاتيب من هذا القبيل ندرجها لما فيها من الشهادة القوية الصادرة من اعظم الرجال الوثنيين لعظمة المسيح والوهيته وقوته العجيبة وحوادثه الغريبة

أولا ــ المكتوب الاول (١) وجد فى الفاتيكان بروميه فحواه

---

(١) هذا المكتوب نشرته جريدة (الاجبشيان غازيت) وقد صدرته بمقدمة هذا نصها : «عثر أحد الاساتذة الالمانيين المهتمين بالاكتشاف والاثار القديمة على كتاب مخطوط من

تقرير بيلاطس (١) حاكم اليهودية الى الامبراطور طيباريوس قيصر (٢) ايضاحاً للاسباب التى ادت الى الضجة فى اورشليم طلبا لموت يسوع الناصرى . وهذا ترجمة الخطاب بالحرف الواحد :ـــ

جناب الامبراطور طيباريوس قيصر الملك المفخم

بعد تقديم ما يجب لسامى المقام من السلام والاكرام

بيلاطس البنطى والى اليهودية الى طيباريوس قيصر بخصوص صلب السيد المسيح ، ولم ان ينسخ صورة منه الا انه ذكر بعد مضى زمن هذا الاثر ووجوده فى مكتبة الفاتيكان امام المستر هامان أحد الخدمة المسيحيين فشعر بفائدته الجزيلة وطلب الحصول على ترجمته فكتب الى الاستاذ الالمانى يكلفه بهذا الامر وكان صديقا للاب فريلهنوسن باشمحافظ الفاتيكان وقد حصل المستر هامان على بغيته فى مقابل دفع ٧٢ ريالا

« وقد عثرنا على ترجمة هذا الخطاب باللغة الانجليزية فى مجلة «Zion's watch tower» فى شهر فبراير سنة ١٨٩٢ م فاحببنا أن نتحف حضرات القراء بنقله اليهم حيث يجدون فيه شهادة لكل ما جاء فى الاناجيل المقدسة تفصيلا عن صلب يسوع » أهـ (عن مجلة الكرمة السنة الثانية ص ٤٣٤)

(١) بيلاطس هو وال اقامته الحكومة الرومانية نائبا أو حاكما على اليهودية فى سنة ٢٩ م واستمر حكمه بضع سنين الى ما بعد صعود مخلصنا وكانت قيصرية مركز ولايته ، وكان يصعد الى اورشليم الى دار الولاية فيقضى للشعب هنالك (يو ١٨ : ٢٨)

(٢) طيباريوس قيصر كان اسمه التام طيباريوس كلوديوس نيرون ، وكان بعد اوغسطس (لو ٢ : ١ و٣ : ١) ومع انه كان فيه بعض الاخلاق الممدوحة الا انه كان بالاجمال ظالما قليل الحياء . وانقضت اكثر حياة المسيح مدة حكومته ويظن انه كان مجنونا . وكان ابتداء ملكه سنة ١٤ ب . م وملك ٢٣ سنة

اعرض ان الحوادث التى حصلت فى ولايتى فى هذه الايام هى ذات شأن عظيم حتى رأيت من المناسب أن احرر لجنابكم تفصيلاتها لانه لا عجب اذا كانت تغير مستقبل امتنا على مر الايام وكر الاعوام لانه يظهر لى ان الالهة غضت الطرف وتخلت عنا فى هذه الايام حتى انى اكاد ألعن اليوم الذى استلمت فيه زمام حكومة اليهودية عقب (فالير يوس جراتيوس) ولكن هكذا قدر وهكذا صار

وعند وصولى الى اورشليم استلمت محل القضاء وأمرت باعداد وليمة فاخرة دعوت اليها رئيس ربع الجليل ورئيس الكهنة وحاشيته ومعيته ولكن لم يحضر أحد منهم فى الميعاد المقرر للحضور فاعتبرت ذلك سبة واهانة لمركزى ومقامى . و بعد أيام قليلة تنازل جناب رئيس الكهنة وزارنى وكانت تلوح فى وجهه الهيبة والخداع وادعى ان ديانته لا تبيح ولا تجيز له ولا لحاشيته الجلوس على مائدة الرومانيين واهراق السكائب معهم . فرأيت ان الاقرب الى الصواب والسياسة قبول اعتذاره ولكن تأكدت من هذه اللحظة أن هذه الامة المقهورة التابعة لنا اضمرت العدوان والمناواة لاسيادها المسئولين عنها و يظهر لى أن مدينة اورشليم هى المدينة الوحيدة التى يصعب حكمها بخلاف باقى المدن التى استولينا عليها . فان دأب سكانها الميل الى العدوان والهيجان والاضطراب بحيث اننى دائما فى ارق وقلق وجزع وفزع لئلا يخلعوا دثار الطاعة ويحدثوا القلاقل والفتن وليس عندى لقمعهم واخضاعهم سوى قائد مئة وشرذمة قليلة من العساكر تعد على الاصابع وطلبت من والى سورية ان يرسل لى مدداً فاخبرنى انه لا يستغنى عن نفر واحد من عساكره فانهم غير كافيين

لحماية ولايته وحفظ الامن إلا بشق النفس . واخشى أن التولع الزائد لفتح البلاد وتدويخ العباد وتوسيع مملكتنا اتساعا فاحشا حتى نعجز عن حمايتها والذب عنها يكون سببا في ضعضعة اركان حكومتنا الفخيمة

ومن الاشاعات التى طرقت أذنى واستلفتت أنظارى بنوع خصوصى هذه الاشاعة : — وهي أن شابا ظهر في الجليل يدعو الناس بمسحة ولهجة شريفة الى شريعة جديدة وكنت أخشى في مبدأ الأمر أن تكون غايته توغير الصدور على الرومانيين واغراءهم على القيام عليهم ولكن زال ما كان يختلج فؤادى من الريب وانقشعت مخاوفى فكان يؤخذ من كلام يسوع الناصرى انه يميل الى الرومانيين أكثر من ميله الى اليهود وفي ذات يوم لما كنت مارا في جهة « سلوا » (١) حيث كان مجتمعا جمهور من الناس (٢) رأيت في بهوة الحلقة شابا متوكئا على شجرة يخاطب الجمهور بهدوء وسكون . فقلت بعد الاستفهام — ان هذا الشخص هو يسوع — وهو ما كنت أنتظره وأتوقعه و يلهمنى اليه وجدانى فانه كان يوجد بينه و بين السامعين بون عظيم وفرق جسيم ، فلون شعره الذهبى ولحيته اللطيفة جعلت هيئته سماوية و يظهر انه بلغ من العمر ثلاثين سنة (٣) ولم أر في حياتي وجها صبوحا أحلى وأصفى أو أنقى من وجهه وما أعظم الفرق بينه و بين سامعيه ذوى اللحى السوداء واللون

---

(١) نح ٣ : ١٥ ولو ١٣ : ٤ ويو ٩ : ٧ و١١

(٢) لو ٦ : ١٧

(٣) لو ٣ : ٢٢

الاسمر (١) ولما كنت لا أريد أن أشوش عليه استمريت على السير ولكن أوعزت الى كاتبي الخصوصي أن ينضم للجمهور و ينصت لأقواله . واسم كاتبي هو « مانيليوس » حفيد زعيم المتآمرين الذين حلوا في « أنروريه » في انتظار « كانلين » وكان « مانيليوس » سابقا من اليهودية وله المام تام باللغة العبرية وأظهر الولاء والامانة لي وهو جدير بثقتي . ولما دخلت محل القضاء لقيت « مانيليوس » فقص على أقوال يسوع التي نطق بها في « سلوا » ولم أسمع في خطب الخطباء ولا في مؤلفات الفلاسفة كلاما يشبه كلام المسيح وجوامع كلمه (٢)

فسأله أحد اليهود القساة العصاة ـــ فان أمثال هذا العاتي كثيرون في أورشليم ـــ وقال له : هل يجوز أن تعطى الجزية والجباية لقيصر أم لأ ؟ فأجاب يسوع « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (٣) فلذا أعطيت هذا الناصري بسبب حكمة أقواله حرية تامة لأنه كان في استطاعتي وامكاني القاء القبض عليه ونفيه الى بنطس ولكن لو فعلت هذا لكان منافيا للانصاف والعدل اللذين اشتهربهما الرومان فلم يكن هذا الرجل من المفسدين ولا من العصاة (٤) وجعلته تحت ظل حمايتي ورعايتي وان لم أطلعه على ذلك فيجوز له أن يفعل كيف يشاء و يتكلم مع من يشاء ويجتمع مع الناس ويخاطبهم (٥) ويختار تلاميذه بلا تضييق عليه ولا قيد (٦) فاذا قدر (لا سمحت الالهة بوقوع هذا التشاؤم) بأن

---

(١) هذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على الوصف في المكتوب الثالث الاتي

(٢) يو ٧ : ٤٦   (٣) مت ٢٢ : ١٥ ـــ ٢٢   (٤) يو ١٩ : ٤

(٥) مت ٥ : ١   (٦) يو ١ : ٣٥ ـــ الخ

تنسخ ديانة يسوع ديانة اسلافنا وجدودنا يكون سبب دفن ديانة رومية فى الرمس وزوالها من الوجود واطلاق عنان الحرية للناس فى الديانة وأكون أنا الرجل التعيس آلة ووسيلة فيا يسميه المسيحيون العناية ونسميه نحن بالمكتوب المقدر.

ولكن اطلاق الحرية ليسوع هيج اليهود الأغنياء والأقوياء لا البائسين والفقراء (١) ولا ينكر أن يسوع كان صارما على الأغنياء الاقوياء ومن رأيى أن عدم تقييد حرية الناصرى هو لحكمة سياسية مفيدة فكان يقول للكتبة والفريسيين ما نصه «يا أولاد الافاعى أنتم تشبهون القبور المبيضة» (٢) وكان يزدرى بصدقة العشارين الصادرة عن الكبرياء وأوضح لهم ان فلس الارملة هو عند الله خير وابقى واثمن واغلى (٣) وكانت تقام شكاوى جديدة كل يوم فى محل القضاء على وقاحة اليهود. وبلغنى انهم عزموا على الفتك به (٤) وليست هذه المرة الاولى التى رجمت فيها اورشليم أنبياءها وبلغ عتوهم ان قالوا اذا لم تنصفهم الولاية رفعوا دعواهم الى قيصر.

ومع كل هذا فوقع سلوكى فى مجلس «السناتو» فى رومية موقع الاستحسان ووعدنى بارسال المدد بعد الحرب البارتيانية. وبما أنه اذا استفحل الامر وحصلت ثورة فليس فى استطاعتى اخمادها لعدم وجود

---

(١) مت ٢٦ : ٣ و٤

(٢) مت ٢٣ : ٢٧ ولو ١١ : ٤٤

(٣) لو ٢٨ : ٢

(٤) يو ١٠ : ٣١ و٣٩

القوة الكافية فلذلك عزمت على اتخاذ هذه الطريقة التى تتكفل باستتباب الهدوء والسكون فى المدينة بدون تعريض الولاية للذل والاستكانة بالرضوخ لمقترحاتهم

فارسلت خطابا الى يسوع طالباً مقابلته فى محل القضاء للتحدث معه فلبى الطلب . ولا يخفا كم ان فى عروقى يجرى الدم الاسبانيولى المختلط بالدم الرومانى بحيث لا اخشى من اضطراب الجأش ، ولما وصل الناصرى كنت اتمشى فى المحكمة وظهر ان قدمى ربطتا بيد حديدية بارض المحكمة المبلطة بالرخام وارتعدت فرائصى كأنى مجرم مع ان الناصرى كان هادئاً ساكناً . ولما دنا منى وقف واشار الى كأنه يقول لى ها أنا أتيت فتفرست بالاندهال والاحترام الى هذا الرجل العجيب الصورة والهيبة التى لم يكن لقرائح المصورين والنقاشين أن يأتوا بمثل هذا الشكل البديع مع تفننهم فى رسم صور الآلهة والابطال . واخيراً قلت له ولسانى متعلثم يايسوع الناصرى قد منحتك فى الثلاث سنين الماضية حرية وافرة لتخاطب الناس وانى غير متأسف على هذا فان اقوالك هى اقوال حكيم ولا اعرف اذا كنت طالعت كتب « سقراط » أو « افلاطون » أو غيرهما ولكن الأمر الأكيد عندى هو ان خطاباتك واقوالك مشهورة بالبساطة السامية التى ترفع قدرك على اولئك الفلاسفة . و بلغ الامبراطور هذا الخبر وبما اننى النائب عنه فى الحكم على هذه الامة فانا منشرح لأنى منحتك هذه الحرية فانك جدير بها

ومع ذلك لا اخفى عنك ان اقوالك وخطاباتك احدثت لك

اعـداء اقـو ياء الداء ولا عجب فى هذا فقد كان لسقراط اعداء ومن شدة بـغـضهم له جرعوه غصص المنون . واعداؤك يستاؤ ون منك لسببين : اولهما اقـوالـك وثـانيهما الحر يـة الـتى خولتها لك . بل اتهمونى بالاتحاد معك سراً لنـجـرد الـعبـرانيين من السلطة الطفيفة التى تركتها رومية لهم . فغاية ما التمـسه منـك ولا اقول على سبيل الامر. هو ان تزداد تبصراً واحتياطاً فى المستقبل وان لا توغر صدور اعدائك لئلا يهيجوا عليك الاو باش ويحملونى على استعمال آلات العدل

فـاجـاب يـسـوع بهـدوء : يـا حـضـرة امير الارض ان اقوالك هذه لـيـسـت صـادرة مـن الحكمة الحقيقية . أيجوز ان تقول للتيار قف فى وسط الجبل لانه يستأصل اشجار الوادى ؟ لأجابك هذا التيار الجارف قائلا — يجب عـلـى ان اطـيـع نواميس الخالق فالله الذى يعرف وحده المحل الذى يـصـب فيه التيار. الحق اقول لك انه قبل أن يزهر نرجس شارون يهرق دم الـبـار. فـاجـبته بروعة وقلت له لا يسفك دمك فان منزلتك عندى بالنظر الـى حكمتك هى اسمى من منزلة جميع الفر يسيين المتغطرسين الميالين الى الهـيـجان والعدوان الذين لم يعرفوا قيمة الحر ية التى خولها لهم الرومان بل تـألـبـوا عـلـى الـقيصر وتآمروا عليه وتوهموا ان ما اظهرناه لهم من اللين هو خـوف ولم يـدر هؤلاء الاسافل الوقحاء انه قد يلبس احيانا ذئب الاحراش جلـد الـغنم . وعـلـى كـل حـال سأحميك من مكائدهم ، وسراى عدالتى مفتوحة لك تلتجىء اليها فى أى وقت شئت

فـأطـرق يـسـوع بـرأسه بلا مبالاة ولا اهتمام وقال بلطف وتبسم الهـى — متـى حل يوم ابن الانسان لا يكون له ملجأ فى الارض ولا تحت

السماء وان ملجأ البار هو هناك . قال هذا مشيراً الى السموات وانه ينبغى ان يتم ما هو مكتوب فى كتب الأنبياء (١)

فأجبته بتؤدة وقلت له : أيها الشاب انك تلزمنى على تغيير طلبى الى أمر فان سلامة الولاية التى فوض لى الاهتمام بشأنها تستلزم ذلك والواجب عليك ان تراعى زيادة الاعتدال فى خطاباتك واتبع أوامرى ولا تنقضها ولترافقك السعادة وأودعك فى أمان الله

فأجاب يسوع وقال — يا أمير الارض اننى لم آت بحرب الى هذا العالم بل أتيت بسلام ومحبة . وولدت في اليوم الذى أعطى فيه اوغسطس قيصر سلاما للعالم الروماني ، فالاضطهاد لا يصدر منى بل من غيرى وسألاقيه طاعة لارادة أبى الذى أرانى الطريق (٢) فاذاً اكظم تبصرك الدنيوى فليس فى طاقتك ولا فى استطاعتك أن تحجز الذبيحة عن الفداء

قال هذا واختفى كظل لامع خلف ستارة السراى

فالتجأ اليهود أعداء يسوع الى هيرودس الذى كان والياً على الجليل وطلبوا منه أن ينفث انتقامه على الناصرى . فلو فوض الأمر لهيرودس لأمر بقتل المسيح حالا . ولكن مع تباهيه بمقامه الملوكى كان يخشى من الاقدام على عمل يحط نفوذه وشوكته فى مجلس السناتو

قال بيلاطس : ففى ذات يوم زارنى هيرودس فى محل الولاية ولما

---

(١) لو ٤ : ٢١ و١٨ : ٣١ و يو ١٩ : ٣٠ (٢) يو ١٨ : ١١

عزم على الانصراف بعد أحاديث تافهة استفهم مني عما أراه بخصوص الناصري فأجبته قائلا يظهر لي أن يسوع هو من كبار الفلاسفة الذي يندر ظهور مثله في الأمم العظيمة وأن تعاليمه لا تمس حرمة الدين مطلقا وأن غاية رومية أن تطلق له عنان الحرية في الخطابة فان سلوكه وتصرفه يجعلان له حقاً في ذلك . فتبسم هيرودس تبسم الحقد والخبث وانصرف إلى حال سبيله بعد أن سلم علي سلام متهكم

وبما أنه قرب عيد اليهود العظيم كان غرض أئمة ديانة اليهود انتهاز فرصة ضجة ورجة وهرج ومرج الشعب التي كانوا دائماً يظهرونها في احتفالات الفصح لدرك مآربهم وكانت المدينة غاصة برعاع اليهود أصحاب الشغب والاضطراب الذين يصيحون طالبين قتل الناصري وافادني رسلي بأن خزينة الهيكل صرفت على اغراء القوم على الهياج (١) والخطب جسيم حتى تطاولوا على قائد مئة روماني بالشتم وطلبت من والي سورية أن يرسل الي مائة عسكري من المشاة ومائة أخرى من العساكر الخيالة فلم يسعفني فرأيت نفسي فريداً بشرذمة من العساكر يعدون على الأصابع في وسط مدينة عاصية وليس في استطاعتي تسكين هذا الاضطراب واخماد نيران الشغب ولم يبق لي سبيل سوى ترك الأمور تجري في مجاريها فألقى الأوباش الهائجون القبض على يسوع ولما آنسوا عدم الخوف من الحكومة اذ ظنوا مع زعمائهم انني جزع وفزع من ثورتهم تمادوا على الصياح قائلين : اصلبه اصلبه (٢)

---

(١) مت ٢٦ : ٦٠ و٢٧ : ٢٠ و٢٨ : ١١ — ١٥

(٢) مت ٢٧ : ٢٣ ويو ١٩ : ٦

وقد تحالف وتآمر فى هذا الوقت ثلاثة أحزاب أقوياء و بيان ذلك ان الهيروديسيين اتحدوا مع الصدوقيين على احداث الشغب والاضطراب لسببين أولهما بغضهم للناصرى وثانيهما تولعهم لخلع نير رومية والتحرر من سلطانها فلم يغتفروا لى دخولى مدينتهم المقدسة بالبنادير والأعلام المرسوم عليها صورة امبراطور رومية وقد وقعت فى هذا الخطأ المشئوم جهلا منى بعاداتهم فاستبشعوا واستعظموا هذا الأمر وعدوه انتهاكاً لحرمة الدين ، والأمر الثانى الذى أوغر صدورهم وزاد حقدهم وكيدهم هو أننى كنت اشرت بصرف جانب من خزينة الهيكل فى تشييد أبنية ذات منافع عمومية فنبذوا هذه الاشارة ظهريا

وأيضا كان الفريسيون أعداء يسوع الالداء ولم يكترثوا بحكومتنا وتجرعوا غصص التوبيخات والتنديدات الصارمة التى رجمهم بها الناصرى مدة ثلاث سنين حيثما توجه (١) ولما كانوا على جانب عظيم من النذالة والجبن وخور العزيمة ولجوا باشتياق وتولع ابواب مشاحنات الهيروديسيين والصدوقيين وزيادة على هذه الأحزاب الثلاثة تعين على ان اكافح الأوباش والرعاع الجامحين فى الغوايات الميالين الى الانحياز وإلى الثورات والفتن — لأنهم يستفيدون من الفوضى والاختلال الناشئين عن هذه الفترة

فساقوا يسوع الى ان اتوا به امام رئيس الكهنة الذى كان وقتئذ

---

(١) لو ١٠ و١١

يافا ([١]) فابدى رئيس الكهنة عملا دل على خضوعه السخرى فانه لو كان خاضعا لنا خضوعا حقيقيا وممتثلا امتثالا صارما لما حكم على يسوع بالموت فارسل الى لأنطق بالحكم عليه فاجبته قائلا ــ بما أن يسوع كان جليليا فهذه القضية هى من اختصاصات هيرودس و بناء عليه أمرت بارساله الى الجليل . فتظاهر رئيس الربع ــ هذا الخداع المكار محتجا باحترامه لمقامى بصفة كونى وكيل القيصر وفوض امر هذا الرجل لى وفى الحال صارت هيئة سراى كهيئة قلعة محصورة وكان يزداد عدد الثائرين كل لحظة وغصت أورشليم بالافواج الكثيرة الآتية عن جبال الناصرة وظهر لى أن كل اليهودية انسكبت فى أورشليم انسكابا وكنت اقترنت بزوجة من الغال ادعت ان لها علما بالمستقبل فبكت والقت بنفسها عند قدمى وقالت لى « احترس ولا تمس هذا الرجل لأنه قدوس ، فرأيته البارحة فى رؤيا الليل ماشيا على الماء وطائرا على اجنحة الرياح وكلم العاصفة وأسماك البحيرة وكان الكل مطيعا له ممتثلا لأمره وهوذا سيل جبل قدرون جاريا بالدم وتماثيل القيصر ملآنة باقذار (جيمونيه) وأعمدة الانتربيم سقطت وسترت الشمس حداداً كالعذارى الباكيات على القبر « فيابيلاطس اذ لم تنصت لالتماس زوجتك لابد أن يلاقيك الشروانى أخشى لعنة السناتو الرومانى و بأس القيصر »

وفى هذه الاثناء كادت سلالم الرخام أن تسقط من ثقل الامواج

---

(١) من يطلع على ختام الاناجيل الاربعة يرى اتفاقا تاما ومطابقة كلية لهذا المكتوب فلتراجع اتماما للفائدة

الكثيرة فأتوا ثانية بالناصرى الى فتوجهت الى كرسى القضاء يتبعنى حرسى وسألت من المتجمهرين بصوت صارم عما يطلبونه . فأجابوا قائلين نطلب موت الناصرى . فقلت لهم وأى ذنب اقترفه فأجابوا قائلين انه جدف وتنبأ عن خراب الهيكل وقال انه ابن الله وأنه الماسيا ملك اليهود فقلت لهم ان القانون لم يصدر عقابا بالموت على مثل هذه الذنوب . فصاح هؤلاء الجماهير العتاة القساة قائلين ــ اصلبه اصلبه ــ وكاد صياح هذه الجماهير الهائجة المائجة ان يزعزع اركان القصر وكان فى وسط هذه الجماهير الكثيرة شخص ساكن هادىء وهذا الشخص هو الناصرى . وبعد أن بذلت جهدى مرارا عديدة لوقايته وحمايته من مضطهديه القساة المجردين من الشفقة والرحمة لم يجد ذلك نفعا فاتخذت هذه الطريقة التى ظهرت لى انها الطريقة الوحيدة لانقاذ حياته ، وهى أننى أمرت بجلده ثم طلبت طشتا وغسلت يدى امام الجمهور مشيراً بذلك الى استهجان عملهم ولكن لم يأت ذلك بثمرة ولا فائدة فان نفوس أولئك القوم ظمآنة لقتله

وكثيراً ما رأيت فى ثوراتنا الداخلية هيجان الجماهير واحقادهم ولكنها ليست بشىء بالنسبة لما رأيته من اليهود فى هذه الحالة حتى يمكن أن يقال انه قد اجتمعت جميع الارواح الجهنمية فى اورشليم وكان يلوح لى أن هؤلاء الجماهير غير ماشين على الارض بل محمولين على الامواج المتلاطمة من ابواب محل القضاء لغاية جبل صهيون يعجون و يصيحون ويجأرون و يزأرون مما لم يسمع بمثله فى متن (البانونية) أو فى ميدان رومية

فاخذ النهار يعتم و يظلم بالتدريج مثل شفق الشتاء وكان مثله

مثل الظلام الذى شوهد عند موت يوليوس قيصر العظيم الذى كان ايضاً فى ١٥ مارس . أما من جهتى أنا والى هذه البلاد العاصية العاتية فكنت متوكئاً على عمود من أعمدة قصرى شاخصاً من الظلام المخيف الى زبانية العذاب يجذبون الناصرى البرىء ليجرعوه غصص المنون . وخلا جميع الجهات التى حولى فان أورشليم تقيأت جميع الساكنين فيها الى بوابة الجنازة التى تؤدى الى جيمونيكه واكتنفتنى هيئة الخراب والتحسر وانضم حرسى الى الخيالة وقائد المئة لاظهار ظل القوة باذلين الجهد لحفظ النظام فسرت وحيداً منفرداً . وناجانى فؤادى بان هذه الامور الحاصلة الآن هى من متعلقات الآلهة وليست من متعلقات انسان وسمع صياح شديد وصراخ عال من الجلجثة محمولا على الرياح منبئاً بكرب لم يطرق أذن انسان مثله . فنزلت سحب مظلمة معتمة على اجنحة الهيكل واستقرت على المدينة وكأنها سترتها بحجاب وكانت العلامات التى ظهرت فى السموات والارض هائلة مخيفة حتى صاح ديوناسيوس الاريوباغى قائلا (اما أن يكون خالق الطبيعة متألم أو ان العالم آخذ فى التمزق » (١)

وفى الساعة الاولى من الليل خلعت ردائى ونزلت الى المدينة وتوجهت الى بوابة الجلجثة وكان قد قضى الامر وتمت الذبيحة وعادت الجماهير وان كانت هائجة مائجة الا انه كان يلوح على وجوههم الكمد واليأس واشتغال البال . لانه اعتراهم التحسر والفزع مما شاهدوه وكذلك

---

(١) اع ١٧ : ٣٤

رأيت فرقتي الرومانية مارة وعليها الاكتئاب وغطى رافع اللواء صورة النسر (وهي علامة وشارة الرومانيين التي تصور على اعلامهم) علامة على الحداد والغم وكان بعض العساكر يهمسون بعض الفاظ غريبة لم افهم معناها وكان البعض الآخر يرون عجائب وغرائب تكاد ان تشبه الغرائب التي كثيراً ما أصابت الرومانيين بارادة الآلهة ، وكانت تقف أحياناً زمر من الرجال والنساء ساكتين باهتين موجهين أنظارهم الى جبل الجلجثة منتظرين طرؤ أمر عجيب آخر

فرجعت الى كرسي القضاء كاسف البال كثير التفكر والبلبال ولما طلعت على السلالم التي كانت لا تزال ملوثة بدم الناصرى شاهدت رجلا هرماً فى حالة الاستغاثة والتوسل وكان خلفه جملة من النساء باكيات فالقى نفسه عند قدمى و بكى بكاء مراً . ولعمرى انه يوجعنى و يؤلمنى رؤية رجل هرم يبكى فقلت له بلطف يا أبى من أنت وما هى طلبتك فاجاب قائلا — أنا يوسف من ارماثا أتيت متعطفاً حضرتكم وأنا جاث على ركبتي ان تأذن لى بدفن يسوع الناصرى

فقلت له قد اجبت طلبك . وفى الحال أمرت مانليوس أن يأخذ بعض عساكر معه ليلاحظ و يباشر دفنه لئلا يتعرض له أحد

و بعد أيام قليلة وجد القبر فارغا واذاع تلاميذ يسوع فى اطراف البلاد واكنافها ان يسوع قام من الاموات كما كان تنبأ

فبقى على القيام بهذا الواجب وهو ابلاغ جناب الامبراطور هذه

الحوادث المكدرة و بناء عليه بادرت بتحرير هذا فى الليلة التى عقبت هذه المصيبة المفجعة . ولم انته من تحرير هذا البلاغ الا و بزغ نور النهار وفى هذا الوقت طرق أذنى صوت امير يضرب نغمة (ديانا) فوجهت نظرى نحو بوابة قيصر فشاهدت فرقة من العساكر وسمعت من على بعد ابواقاً تضرب سلام القيصر فاتضح لى انها المدد الذى وعدتنى الحكومة الرومانية بأرساله و يبلغ عدده نحو الفى نفر من نخبة العساكر الذين مشوا طول الليل ليتيسر لهم الوصول بسرعة . فصرخت فاركا يدى : قد قدر بوقوع هذا الاثم العظيم ولا راد للقضاء : ولو وصلت العساكر البارحة لما حصل ما حصل ولكن هل نقول أن العساكر وصلت اليوم لمنع حدوث فعلة البارحة . فتباً لهذا الدهر الغدار الذى يعبث بأحوال البشر ، ولعمرى لقد صدق ما صرح به الناصرى وهو معلق على الصليب « قد اكمل »

ثانيا (المكتوب الثانى) (١) وهو صورة الحكم الذى نطق به

---

(١) جاء فى جريدة التأبليت ما نصه : قد عثر مكاتبنا المشتغل باستقصاء المباحث والتنبيه عنها على صورة صحيحة من الحكم الذى أصدره بيلاطس البنطى بالقضاء على المسيح بالموت ، وجدها فى جريدة الكولينش ز يتونغ ولكونها مما تهم كل مسيحى للوقوف عليها لما فيها من عظم الفائدة لتضمنها نص الحكم على المخلص الذى هو أهم حادثة جاءت فى متون تواريخ حوادث العالم آثرنا درجها مشفوعة بالملاحظات التى جمعتها جريدة الدرو الفرنساوية . وهاك ما قالته الجريدة التليانية تعليقا على هذا المكتوب : — ان هذا الحكم منقوش على لوح من النحاس الاصفر باللغة العبرانية وعلى جانبيه هذه الكلمات (قد ارسل لكل سبط لوح مثل هذا)

«اما اكتشاف هذا اللوح فكان فى سنة ١٢٨٠ م بمدينة اكويلا من اعمال نابولى أثناء البحث عن الاثارات الرومانية وبقى فيها الى ان وجده المندوبون العلميون الذين

بيلاطس البنطي والى ولاية الجليل على يسوع الناصرى بالموت صلباً وهاك نصه حرفا بحرف : —

(فى السنة السابعة عشر من حكم الامبراطور طيبار يوس الموافق لليوم الخامس والعشرين من شهر آزار (مارس) بمدينة أورشليم المقدسة فى عهد الحبرين حنان وقيافا — حكم بيلاطس البنطي والى ولاية الجليل الجالس للقضاء فى دار ندوة مجمع البروتوريين على يسوع الناصرى بالموت صلبا بين لصين بناء على الشهادات الكثيرة البينة المقدمة من الشعب المثبتة أن يسوع الناصرى (أولا) أنه مضل يسوق الناس الى الضلال (ثانيا) أنه يغرى الناس على الشغب والهياج (ثالثا) انه عدو للناموس (رابعا) أنه يدعو نفسه ابن الله (خامسا) انه يدعو نفسه ملك اسرائيل (سادسا) أنه دخل الهيكل ومعه جم غفير من الناس حاملين سعف النخل

فلهذا يأمر بيلاطس البنطي كونيتوس كرنيليوس قائد المئة

رافقوا الجيش الفرنساوى حين انتشبت الحرب فى جنوب ايطاليا محفظا عليها فى علبة من الخشب الأبنوس فى خزانة الامتعة الكنائسية بدير رهبان الكارثوزيان القريب من نابولى ثم نقل هذا الاثر الجليل الى كنيسة كازيرنا وبقى فيها الى أن تصرح لرهبان دير الكارثوزيان بناء على طلبهم بحفظه عندهم جزاء لهم على الضحايا التى بذلوها للجيش الفرنساوى فى ايطاليا وكانت ترجمته الى اللغة الفرنساوية حرفا بحرف بمعرفة اعضاء اللجنة العلمية وتحصل زينون على رسم هذا اللوح المذكور بألفين وثمانمائة وتسعين فرنكا . ومن مطابقة الاسباب الواردة فى هذا الحكم لما هو وارد فى الانجيل يستدل على عدم وجود شبهة تاريخية تنفى صحة هذا اللوح » أ هـ

الاولى ان يأتي بيسوع المسيح الى المحل المعد لقتله وعليه أيضا أن يمنع كل من يتعدى لتنفيذ هذا الحكم فقيراً كان أو غنيا . وهاك أسماء الشهود الذين وقعوا على تنفيذ هذا الحكم على يسوع المسيح . . أولا ــ دانيال روباني فريسي . ثانيا ــ يوحنا زور بابل . ثالثا ــ روفائيل روباني . رابعا ــ كابيت . وأن يؤتى به الى خارج مدينة أورشليم من باب الطوراني) أهـ

(تذييل) وجد تعليق على حكم بيلاطس على يسوع وهو صورة ما قاله الذين تشاوروا على السيد المسيح في مجلس الشورى . وهاك اسماء الشهود بما فيهم بيلاطس البنطي وقيافا رئيس الكهنة : ــ

أولا ــ يورام قال . من هو هذا العاصي الذى يستحق الموت حسب الشريعة ؟

ثانيا ــ سمعان الابرص قال . لماذا يحكم بالموت على هذا البار؟

ثالثا ــ سار ياس قال . انزعوا منه الحياة انزعوه من الدنيا

رابعا ــ ديارابياس قال . حيث انه هيج الشعب فيستحق الموت .

خامسا ــ تبراس قال . فليطرح فى هاوية الشقاء

سادسا ــ ابتوليه قال . لماذا كل هذه المدة المستطيلة لم نحكم عليه بالموت ؟

ــ سابعا ــ يوشافاط قال . اتركوه فى السجن مؤبداً

ثامنا — سابس قال . ان كان بارا أو لم يكن فستحق كأس الموت حيث انه لم يحفظ شريعة آبائنا

تاسعا — بيلاطس البنطى قال . أني بريء من دم هذا البار(١)

عاشراً — ساميشيل قال . فلنقاصه حتى فى المستقبل لا يكرز ضدنا

حادى عشر — اتياس قال . لا يجب الحكم أبدا على أحد بالموت ما لم نسمع أقواله

ثانى عشر — نيقوديموس قال . ان شريعتنا لا تصرح بالحكم على أحدما لم تؤخذ أولا أقواله والاخبار عما فعل (٢)

ثالث عشر — فوطيفار قال . حيث ان هذا الانسان بصفته خداع فليطرد من المدينة

رابع عشر — رسموفين قال . ما فائدة الشريعة ان لم تحفظ ؟

خامس عشر — اهيارين قال . ان كان بارا أو لم يكن حيث أنه هيج الشعب بكرازته فستحق العقاب الشديد

سادس عشر — ريفاد قال . اجعلوه أولا يعترف بذنبه ومن ثم عاقبوه

سابع عشر — يوسف الرامى قال . ان لم يكن أحد يدافع عن هذا البار فعار علينا

ثامن عشر — سوباط قال . الشرائع لا تحكم على أحد بالموت بدون سبب أكيد

---

(١) مت ٢٧ : ٢٤

(٢) يو ٣ : ١ و ٢ و ٨ : ٥٠ و ٥١

تاسع عشر — ميزا قال . ان كان باراً فلنسمع منه وإن كان مجرما فلنطرده

عشرون — رحبعام قال . نحن لنا شريعة وبموجبها يجب أن يموت

حادى وعشرون — قيافا رئيس الكهنة لليهود قد أنبأ قائلا — لا تسمعوا منه شيئا ولا تعتبروه والاجدر بكم أن يموت انسان واحد عن الشعب من أن تهلك أمه بأسرها . (انتهى)

ثالثا — المكتوب الثالث هو صورة خطاب منسوب الى بوبليوس لنتولس يقال انه كان معاصراً لبيلاطس وأنه كتب الى السناتس الرومانى ما نصه : — (١)

« أيها الملك بما أننى فهمت أنك ترغب معرفة ما أخبرك به اذ وجد فى وقتنا هذا الرجل يعيش عيشة فاضلة يدعونه رسول الفضيلة وتلاميذه يقولون أنه ابن الله خالق السماء والارض وكل ما يوجد فيهما . بالحقيقة أن كل يوم نسمع أمورا عجيبة عن يسوع هذا فيقيم الموتى و يشفى السقماء بكلمة واحدة وهو معتدل القامة وجميل المنظر جداً ووجهه ذو هيبة هكذا حتى أن الذين ينظرون اليه يشعرون بالغرام لأن يحبوه ويخافوه ، وشعر رأسه نازل لحد أذنيه منسدل على كتفيه ، وهو بلون التراب انما يفوق عليه ضياء وفى وسط جبينه غرة كعادة الناصريين . أما جبينه فبسوط كثير الصفاوة ووجهه ليس فيه تجعد وعلامة البتة . وفخذاه بغاية الاعتدال . وأنفه وفمه لا يعبران بحسن فى أحد ومنظره يفيض خشوعاً

(١) الكتاب المذكور وجد فى خزانة الأمير شراو ينى من ايطاليا . أهـ

وفرحا وعيناه كأشعة الشمس ولا يقدر أحد أن يحدق بنظره اليه من كثرة الضياء . واذا و بخ أرهب وإذا أنصح أبكى ويجعل الجميع يحبونه لأنه ذو سماحة وهيبة . و يقولون انه لم ينظر قط ضاحكا بل باكيا . وذراعاه و يداه زائدة الجمال . أما بالاجتماعات فيرضى كثيرين ولكن ينظر اليهم نادراً وعند وجوده بينهم يجلس بغاية التهذيب ففى رؤيته وشكله هو أجمل انسان يمكن تخيله ومشابه بمقدار عظيم لأمه التى هى أجمل فتاة يمكن مشاهدتها أو تشاهد قط بهذه الجهات

فيا أيها الملك أن رغب جلالتكم أن تراه فاخبرنى لكى لا أتقاعد عن ارساله اليك سريعا . لكنه بالعلوم قد أذهل مدينة أورشليم بأجمعها فيعرف كافة العلوم من غير أن يتعلم . وتارة يمشى حافى القدمين مكشوف الرأس كمجنون وكثيرون عند نظرهم اليه يضحكون منه . أما فى حضوره أو التكلم معه فانه يرهب و يذهل و يقولون أنه لم يسمع قط عن رجل هكذا فى الجهات و بالحقيقة مثل ما يقول لى اليهود انهم لم يسمعوا قط مشورات حكمة من أحد كمثل ما يعلم يسوع هكذا ، وكثيرون آخرون يتهكمون و يشتكون لى منه قائلين انه مضاد شريعة عظمتكم وترانى معنفا جداً من هؤلاء اليهود الاشرار و يقولون أنه ما أغاظ أحداً قط بل كافة الذين عرفوه وأخبرونى عنه يقولون انه حصل لهم منه انعامات وصحة كثيرة وفى كل الامور اننى مستعد لطاعتك ومن ثم كل ما تأمر به جلالتكم يجرى عاجلا » انتهى

(٤) شهادة يوسيفوس (١) المؤرخ اليهودى الشهير الذى كان

---

(١) راجع كتاب «النور الباهر فى الدليل الى الكتاب الطاهر» للمؤلف

معاصرا للرسل وقد شاهد سقوط اورشليم في حصارها الاخير كما أنبأ السيد المسيح . فهذا كتب في تاريخه المعروف كلمة عن السيد المسيح خالية من شوائب الاغراض والغايات قال : ــ

« وكان أيضا في هذا الوقت رجل حكيم اسمه يسوع . ان كان جائزاً أن يدعى انسانا . وكان صانعا عجائب كثيرة ومعلما للذين أرادوا أن يتعلموا الحق وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم . هو المسيح الذى اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمتنا ، وسلمه بيلاطس البنطى للصلب ومع هذا كله فالذين اتبعوه من البداءة لم يتركوه قط وقد نظر اليه حيا بعد صلبه بثلاثة أيام كما كان قد تنبأ بعض الانبياء وصنع معجزات أخرى كثيرة ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين و يعترفون به رئيسا لهم » أ هـ

فيتضح مما تقدم أن كثيرين من معاصرى السيد المسيح ــ حتى من أعدائه ــ قد شهدوا له وأقروا بألوهية و بعظمة أعماله واعترفوا بأنه أعظم من انسان وهم بيلاطس والى اليهودية و يورام وامتياس ونيقوديموس و يوسف الرامى وسوباط من رؤساء وكهنة اليهود و بوبليوس لنتولس أحد ولاة الرومان و يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور وشهادة هؤلاء تعد معتبرة للغاية لأنهم « ١ » من أكابر الامم وقتئذ « ٢ » لأنهم كانوا معاصرين له « ٣ » لأن منهم كثيرين كانوا يبغضونه ولكنهم اعترفوا رغما عنهم بصلاحيته و برارته

الفصل الثالث

شهادة العظماء للمسيح بعد ظهوره

« الاعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى » يو ١٠ : ٢٦

صعد السيد المسيح الى سمائه وترك على الارض آثار سلوكه المقدسة وتعاليمه الصالحة فاحدثت انقلابا عظيما فى العالم ، فى الآداب والعادات حتى انتقل العالم من حالة ملؤها الشر والفساد الى حالة كلها قداسة و بر

ومع أن رئيس المسيحية مات كأحقر الناس غير أن دينه امتد وانتشر فى كافة أصقاع المسكونة .

هذا ما كان مدعاة لدهشة كثيرين من عظماء هذا العالم فرأوا أنفسهم وحولهم الامم تشددهم والقوات تعززهم غير قادرين على مجاراة ذلك الناصرى البسيط ومع أنه كان مجرداً من كل سلطة وخلواً من كل سلاح وهم ممدودون بالقوات المختلفة غير أن الفرق عظيم بينه و بينهم ، وأن مراكزهم تلقاء مركزه ليست الا كنقطة من بحر لذلك اعترفوا رغماً عنهم وأقروا وهم يصرون على أسنانهم بعظمة ذاك البار الذى أنار العالم بشمس

تعاليمه وأسر القلوب بسلاسل محبته وها نحن ذاكرين للقراء بعض أقوال أشهر العظماء فى هذا الصدد : —

١ — شهادة نابليون (١) لما كان نابليون امبراطور فرنسا العظيم فى النفى فى جزيرة القديسة هيلانة سأل صديقه مونتولون عمن هو المسيح ؟ فلم يستطع أن يجبه . وكان الامبراطور يكثر فى منفاه من الكلام عن الامور الدينية وفى ذات يوم تكلم عن لاهوت المسيح فقال له الجنرال برتران الذى كان غير مؤمن ، وكان يكدر نابليون بالاستخفاف بالأمور الدينية :

« مولاى . اننى لا أدرك كيف أن رجلا عظيما مثلك يؤمن بأن الخالق الاعظم أظهر نفسه للبشر فى جسد انسان وله جسم وفم وعينان فليكن المسيح مهما شئت . أى قل انه أحذق الناس وقلبه أطهر القلوب ومبدع أشهر وأصفى الشرائع وأعظم رجل خلق على الأرض من كل جهة فلا أعارض . ولكنه لم يكن غير بشر علم تلاميذه وأضل البسطاء كما فعل أورافوس وكونفوشيوس و برهما (٢) وقد جعل نفسه معبوداً لأن سلفاءه اليسيس وأوزيريس (٣) وجوبتير (٤) جعلوا أنفسهم بكبرياء معبودات . وامتيازه فى أزمانه كامتياز المعبودات الوثنية وأبطال القدماء . وما فعله من جر الناس وراءه وتغير حالة الدنيا انما هو ناشىء عن قوة العقل وتأثير نفس قادرة على التسلط كما تسلط كثيرون فى الدنيا بفتوحاتهم كالاسكندر وقيصر ومثلك أنت »

---

(١) عن كتاب « تاريخ فرنسا الحديث » (٢) آلهة الصينيين والهنود
(٣) من آلهة المصريين (٤) معبود الرومان

فأجاب نابليون في الحال على هذا الكلام قائلا : — « أنني أعرف الرجال فأقول لك أن يسوع المسيح ليس برجل . فاصحاب العقول الغير قادرة على ادراك كنه الحقيقة يرون مشابهة بينه و بين مؤسسي الممالك ومعبودات القدماء . والواقع أنه لا وجود لتلك المشابهة . والبون بين النصرانية و بقية الاديان غير محدود . فاننا نقدر أن نقول لجميع واضعيها أنكم لستم بمعبودات ولا وكلاء الاله بل أنتم رسل الاكاذيب وأنتم كسائر البشر وقد خلقتم مصحوبين بالشهوات والرذائل التي تصاحب سائر البشر وهياكلكم وكهنتكم تدل على أصلكم . وهذا ما يقوله كل انسان فحص بخلو غرض حالة معبودات الوثنيين وهياكلهم . وحكماء اليونان لم يقبلوا البتة الدين الوثني كدين حقيقي ومنهم سقراط وفيثاغورس وأفلاطون وانكسارغوس و بركلس . على ان احكم الناس بعد انتشار النصرانية آمنوا بصحة تعاليمها فان بوسوى وفنيلون آمنا بها ولم يقتصر الايمان بها عليها حال كونهما واعظين ولكنه اتصل الى ديكارت و ينوش و بنتز و بسكال وكورين وراسين وشرلمان ولو يس الرابع عشر . أما الوثنية فصفة الانسان ولا نسمع منها ولا نقرأ عنها الا ما يدل على غباوتنا وجهلنا

« فماذا تعرف تلك المعبودات المفتخرة أكثر من الانسان ؟ وماذا يعرف واضعوها تلك السنن الرومانية واليونانية ونوما ولوكرغس وكهنة الهند وممفن وكونفوشيوس وغيرهم ؟ انهم لا يعرفون شيئاً بل أضاعوا الاداب ولم يبن احدهم من جهتنا شيئاً من جهة حالتنا في الاستقبال والنفس وجوهر الخالق والخليقة . واذا دخلت هياكل الوثنية لا ترى غير

الوف من المناقضات وحروب اشعلت نارها بين المعبودات وتفريق الوحدة الالهية وسفسطة الجهل والاجحاف بالصفات الالهية او انكارها والرجس والفساد في المستظلات الكثيفة مع الاخشاب المنحوته وهي الصنم وكاهنه فهل يتجمد الله بذلك او يغضب او هل تقيم المقابلة بين هذه الاديان والمعبودات والنصرانية ؟ اما انا فلا اقابلها بل اجلب كل معبودات الوثنيين الى محكمة وأحاكمها . غير انني أبعد من أن أذل نفسي بعبادة اصنامها فليس عندها ولا عند واضعي ناموس الهند والصين وروميه ما يلقي الخشية في قلبي

« ولست اعاملهم بالظلم وانا اعتبرهم الاعتبار اللائق بهم لانني اعلم اهميتهم وارى في لوكارغس ونوما وغيرهما واضعي سنن فكان لهم المركز الاول فوضعوا اوفق نظام يمكن وضعه للهيئة الاجتماعية في وقتهم على انني لا ارى في أعمالهم ما يدل على ان الله قد الهمهم الصواب أو أمرهم بفعله فهم لم يدعوا ذلك وقد قاموا باعمال عالية في ايامهم مثلي غير انه ما من شيء يدل على ان اعمالهم تجري من ينبوع الهي و بيني و بينهم مشابهة عظيمة وقد ارتكبوا اغلاطا تجعلهم مثلي من العائلة البشرية

« اما المسيح فلم يكن كذلك وكل شيء فيه يقضي بالعجب العجاب ، فروحه تلقي الخوف في قلبي وثبات ارادته تضيع تميزي ولا يقابل بأحد من البشر ولا توضحه النظامات البشرية ولا طبيعة الانسان وآراؤه وحاسياته والحقائق التي اعلنها ولا كيفية امتناعه . فاذا تأملت في ولادته وتاريخ حياته وعمق حكمته التي تتغلب على أعظم الصعوبات

وتحلـهـا أوفق حـل وانجيـلـه وظـهوره ومملكته الروحية وتغلب تعاليمه على الـدهـور والامـم — أقول ان هذه اسرار لا أقدر أن أقف على حقيقتها فانها تجعلـنـي في حيرة لا أستطيع التخلص منها فهى سر لا أقدر انكره ولا ان اوضحه ولا أرى بذلك شيئاً بشر يا وكلما اقتر بت منه وأطلت البحث عنه يـزداد ارتـفـاع هـذه الامور عنى وتبقى عظيمة وعظمتها عالية . ودينه التام الحـق لا ر يـب فـي انـه غير بـشـرى ، فـتـرى فيه شيئاً اساسياً عميقاً جاء بتعاليم واقوال لم تكن معلومة

« ولم يـستعر يسوع شيئاً من معارفنا وعلومنا ولا نرى فيها ما يشابه تـصرفه وحياته ولم يكن فيلسوفاً لانه تقدم بالمعجزات . وعبده التلاميذ منذ الـبـدايـة وألقى الايمان به في قلوبهم بما يؤثر فيها تاثيرا روحيا ولم يلزمهم ان يـقـومـوا لـدروس ابـتـدائـيـة ولا أن يتعلموا العلوم فديانته كلها مبنية على الايمان

« والـواقـع ان الـعلوم الفلسفية لا تجدى نفعا للخلاص ولهذا جاء الـسـيـد المسيح الى الارض لاظهار أسمى اسرار الروح ونواميسها ولم يكن لـتـعاليمه علاقة الا بالروح وقد جاءها بانجيله والروح تكفيه ولم تكن للروح أهمـيـة قـبـلـه فـان الـسيادة في الدنيا كانت للعادة والزمان وقد رجع كل شـيء الـى الـنـظـام بـصـوتـه وصار المحل الثانى للعلم والفلسفة وقد فازت الـروح بـالحـصـول عـلـى سيادتها وسقط كل العلم كبناء تهدم امام كلمة واحـدة وهـى الايمـان فـما أعـظـم السيد الذى يقدر ان يأتى بانقلاب عظيم كهذا وما انفذ كلمته فما هو ياترى السلطان الذى الزمنى ان اصلى له وق

ألزم الناس الايمان به ولم يتمكن انسان ان ينقض كلامه أولا. لان فى الانجيل اصفى الاداب ولان التعاليم الموضوعة فيه كأسرار انما هى اعلان الحق المتعلق بما هو موجود حيث لا تقدر العين ان ترى ولا العقل ان يدرك فمن ياترى هو الخالى من الاحساس الذى يكذب اخبار السائح الجسور الذى لم يتجاسر غيره الصعود الى القمم الثلجية ويخبر بعجائبها

« فالمسيح هو السائح الجسور والانسان يقدر ان يبقى خاليا من الايمان غير انه ما من أحد يتجرأ أن يقول لهذا ليس هو كذلك وفضلا عما تقدم استشر الفلاسفة عن هذه التعاليم السرية المتعلقة بالانسان والدين فماذا يقولون ؟ واين هو العاقل الذى تعلم شيئاً من الطبيعة القديمة أو الحديثة حال كونها ليست الا آراء باطلة لا علاقة لها بمعيشتنا واميالنا

« ولا ريب فى ان الانسان يرى بقوة الفكر مفتاح فلسفة سقراط وأفلاطون على انه لا يدرك ذلك ما لم يكن طبيعيا و بعد طول الدرس سنين عديدة ، على ان ادراك المسيحية يتم بالقلب والايمان لانها ليست باوهام ولا هى تعليم طبيعى ولكنها قوانين ومبادىء سامية تسمو بالانسان وتعاونه على حل جميع مشكلات الحياة وفى الكتاب المقدس اخبار وقائع ورجال تاريخيين عرفوا بجلاء و وضوح احوال الزمان والابدية وليس فى كتاب دين آخر ما يماثل ذلك

« فاذا كان الدين الحقيقى يعذر الانسان اذا خدع به ولا يلزم فبان كل شىء فيه عظيم يستحق أن ينسب الى الله تعالى وقد فتشت التواريخ دون أن أجد فيها شبيهاً ليسوع المسيح والانجيل فلا أرى فى

التاريخ ولا الانسانية ولا العصور ولا الطبيعة شيئاً اقدر اقابله او ان افسره به فان كل شيء فيه خارق العادة وكلما تأملت فى الانجيل يزيد تأكيدى ان كل شيء فيه يفوق الحوادث والعقل البشرى والذين خلت قلوبهم من التقوى لم يتجاسروا ان ينكروا علو الانجيل الذى يوجد فيهم اعتباراً اجبارياً

« وما أعظم السعادة التى يحصل عليها الذين يعتقدون بصحته وما أكبر العجائب المسطورة فيه فهو كتاب مفرد يجد العقل فيه جمالا أدبيا لم يكن معروفا ، ومعرفته بالخالق تدل الخليقة عليها فمن ياترى غير الله تعالى يقدر ان يأتى بمثل ذلك بكمال اصلى خالص ؟

« ولم يكن للمسيح غير تلاميذ قليلين فحكم عليه بالقتل فمات بغضب الكهنة واحتقار الامة حتى ان تلاميذه تركوه وانكروه وقال انهم يأخذوننى قريبا و يصلبوننى واترك العالم . وأهم تلاميذى ينكرنى فى بداية قصاصى فأترك للاشرار، و بعد ذلك يحصل العدل الالهى على كفايته وتمحى الآثام الاصلية بآلامى و يرجع اتصال الانسان بالله و يكون موتى حياة تلاميذى و يصبحون دونى اقوى مما هم وانا معهم لانهم يشاهدوننى مرتفعا ثانية وسأصعد الى السماء وأرسل اليهم من السماء روحاً يعلمهم وروح الصليب يساعدهم على فهم انجيلى فيعتقدوا به و يعظوا به ويجلبوا العالم الى الايمان

« فهذا الوعد الغريب سماه بولس (حماقة الصليب) هو نبوة رجل صلب بتعاسة تم حرفيا وكيفية اتمامه ربما كانت اوسع دائرة من

الوعد نفسه ولم يفصل ذلك فى يوم ولا فى معركة فهل هذه حياة رجل ؟ الجواب . لانها حرب استمرت ٣٠٠ سنة بدأ الرسل بها وقام بها بعدهم خلفاؤهم واجيال نصرانية متتابعة وفى هذه الحرب اصطف جميع الملوك وكل قوات العالم فى جهة . ولا ارى جيشاً فى الجهة المقابلة ولكنى بالعكس ارى جهادا سرياً وافراداً متفرقين فى جميع اقطار الدنيا وليس لهم عصبية غير وحدة الايمان بأسرار الصليب الذى تسلح تلاميذه به وقالوا قد مات عليه المنا لخلاص العالم فهذه كلمات بسيطة غير انها اهاجت عواطف الاجتهاد حول راية آلام الرجل الالهى . ونرى من جهة غضبا شديدا وجميع مهيجات البغض والتعدى والانتقام . وفى الجهة الاخرى اللطف والشجاعة الادبية والتسليم غير المحدود ، واستمرت الروح تنازل وحشية الاحساس ٣٠٠ سنة والضمير يحارب الظلم ، والروح الجسد ، والفضيلة الفساد وجرى دم المسيحيين انهاراً وكانوا يموتون وهم يقبلون اليد التى كانت تقتلهم مكتفين بالحجة التى كانت الروح تقيمها حال كون الجسد كان يسلم نفسه الى جميع العذاب وكانوا يقتلون فى كل مكان ومع ذلك فكان لهم الفوز فى كل مكان

« وقد ذكر قيصر والاسكندر وفتوحاتها والحمية التى كان يضرمانها فى قلوب عساكرهما ولكن هل تصدق ان رجلا ميتاً يقدر ان يقوم بفتوحات بواسطة جيش صادق وقف نفسه على سبيل خدمة ذكره ؟ وها جيوشى قد نسيتنى مع اننى لا أزال فى قيد الحياة . فهذه هى قوتنا والانقلاب فى معركة واحدة كاف لسحقنا والضيقات تبدد شمل اصدقائنا . فهل تصدق ان قيصر امبراطور مجلس أعيان روميه الذى لا

يموت ذكره يقدر وهو في اعماق قبره ان يسوس امبراطوريته ويحرس روميه فهذا هو تاريخ تغلب المسيحية على الارض وفتوحاتها فيها . وهذه هي قوة إله المسيحيين وهذه هي المعجزة الدائمة التي جاءت بتقديم الايمان وادارة الكنيسة فالامم تنقرض والعروش تثل على ان الكنيسة باقية

« فما هي القوة التي صانت هذه الكنيسة التي لاقت صدمات الغضب الشديدة وعدوان قرون عديدة فأين الجيش الذي حمى الكنيسة مدة ١٨٠٠ سنة من عواصف التعديات والاضطهادات المرة التي تهددها بالتدمير؟ وكم من نقصان ترى في حياة الجميع خلا حياة المسيح . فأي رجل لم تخضعه المواقع وأي رجل لم تكن الحوادث والامكنة ضابطا لأعماله ؟ اما هو فلم يخضع لسطوة الازمنة ولا جاري عادة وميلا . فانه لم يتغير من اليوم الاول من حياته الى آخر أيامه بل كان على الدوام جليلا بسيطا ثابتاً لطيفاً جداً

« و ينبغي ان تمتلىء الدنيا بالحق فالنصرانية هي الدين الفريد الذي يهدم اركان التعصبات الدينية و يعلن ان الجنس البشري واحد و بعضه أخوة البعض الآخر. وقد تفرد بمراعاة الروحيات فقط و بتعيين الاحضان الالهية في السماء ميعاداً للجميع دون امتياز وقد برهن المسيح انه ابن الله الازلي بعدم اهتمامه بالوقت . فان تعاليمه كلها تتعلق بأمر واحد وهو الابدية ومن المحقق ان المسيح جعل في ايماننا أسراراً كثيرة فانه يأمر كذي سلطان ، يأمرنا بان نؤمن بها دون ان يبين شيئا غير واحد وهو كلام مخيف وصريح قائلا (انا هو الله) وقد صرح بذلك وجعل بينه

و بين واضعي الاديان بوناً عظيما فاذا كان غير صحيح فيكون قحة وكفراً شنيعاً . واقول ان فوز ادعاء كهذا اذا كان غير صحيح يكون عذراً للذين ينكرون الله

« على اننا قد رأينا ان تعاليم المسيح المحفوفة بالاسرار مشابهة للطبيعة لانها ذات أسرار عظيمة . فان الانسان يقول في نفسه من أين أتيت ياترى والى أين أذهب ومن أنا ؟ فالحياة البشرية أصلها سر في نظامها ونهايتها ففي الطبيعة كل شيء متعلق بالانسان و بغيره سر لا يدرك فهل يمكن ان يكون الدين غير سري ؟ فالخليقة والدنيا سر لا قرار له وكذلك الخليقة ونصيب كل فرد . فالمسيحية لا تصرف النظر عن هذه المسائل المهمة جداً ولكنها تلاقيها بشجاعة وتعاليمها تحلها عند كل مؤمن

« وفي الانجيل فضيلة سرية واقتدار سري وتأثيرهما يدخل القلب و يعزيه . والانسان يشعر بالتأمل به بما يشعر به عند التأمل في السموات فالانجيل ليس ككتاب بل هو كائن حي ذو شجاعة وقوى تمكنه من التكلم على كل ما يحول دون امتداده (فانظره على هذه المائدة وتراه يفوق كل الكتب) ووضع الامبراطور يده عليه بكل اعتبار وكلما يوم أقرأه وكلما قرأته التذبه ولا أرى في غيره آراء حسنة كالتي فيه ولا تعاليم أدبية خارقة العادة تنتشر كجيش سماوي منتشر وتؤثر فينا كتأثير السماء عند التعزي في ليلة صيف ذات نجوم صافية فتشغل افكارنا وتغبط أعمالنا . والنفس لا تضل مادام هذا الكتاب دليلها واذا تسلط الانجيل الامين على نفوسنا يصير المسيح محباً لنا و يصبح الله صديقنا ووالدنا و بالحقيقة المنا . فالام لا تعتني اكثر منه برضيعها

« وما أعظم الدليل الذى نستدل به على ألوهية المسيح فأنه أسس سلطة دينية عظيمة مطلقة ومع ذلك لم تكن له الا غاية واحدة وهى تحسين حالة الافراد الروحية وطهارة الضمير وقداسة النفس . وقد تكلم فصارت الامم فى كل الاجيال له بروابط امتن من روابط آدم وهى أقدس الرباطات وأبعدها عن الانحلال . فانه يضرم لهب حب يحرق به حب الذات ليقيم مقامه المحبة الطاهرة لجميع الناس سواء اصدقاء او اعداء . ولا ريب ان اعظم معجزات المسيح هى غلبته على حب الذات وجعله السيادة للمحبة الطاهرة العامة

اما انا فقد القيت فى قلوب الجماهير حمية جعلتهم يرفضون بأن يبذلوا حياتهم فى سبيل خدمتى . وحاشا لى ان اقابل حمية الجندى بالمحبة المسيحية فانهما متباينان بالذات والعلة . على ان وجودى كان لازما لالقاء الحمية فى قلوب العساكر بمشاهداتهم نور عينى واستماعهم صوتى وكلمة مهيجة من فمى ، هذه هى الوسائل التى كانت تضرم نيران الغيرة فى قلوبهم . وأنا حاصل فعلا على تلك القوة السرية التى تشبه قوة السحر وهى التى ترفع النفس . غير انى لم اكن قادرا ان اجعلها متصلة بالاخرين لوم يقتبسها عنى احد قوادى ولا قدرة لى على تخليد اسمى وحبى فى القلوب دون الوسائل الطبيعية . فقد صرت الآن فى المنفى منفرداً مقيداً وليس من يحارب عنى او يفتح البلاد بأسمى وليس لى من يخدمنى فى ضيقى أو يذكرنى او يحترمنى فى بلادى وقد تركنى كل اصدقائى الا ثلاثة قد خلدت الامانة والصداقة اسماءهم وانت قد شاركتمونى فى النفى والضيق وفيكم تعزيتى

« حياتي لقد لمعت مرة بعظمة التاج والعرش ثم انطفاء هذا النور اللامع كما تنكسر اشعة الشمس على قصر الانفاليد المعلقة بالقرب منا . على ان المصائب قد دهمتنا واخذ لمعاننا يزول وسوء الحظ الذى وقعت فيه مع الإهانات التى تلحق بى كل يوم جعلت ذلك اللمعان ظلاماً حالكا فصرنا رصاصاً بعد ان كنا ذهباً وحجارة كريمة و بعد برهة ابيت فى القبر. هذا هو نصيب الرجال العظماء وهكذا كان نصيب اسكندر وقيصر وكذلك انا . وقد بتنا جميعنا فى زوايا النسيان ، و يصبح اسم الفاتح الامبراطور من المواضيع التى تشتغل الطلبة فيها بالمدارس وتكون اعمالنا مواضيع يجعلها الاساتذة وسيلة لتعليم تلامذتهم فيشغلون انفسهم بمدحنا او بالتنديد بنا . تأمل بما يطرأ على . اننى اموت قبل اوانى الطبيعى فهذا هو نصيب الرجل المعروف بنابوليون العظيم

« فما اعظم الفرق بين شقائى العظيم وملك المسيح الابدى الذى لا يزال اسمه معلناً ومحبوباً ومعظما وهو ملك لا يزال منتشراً فى جهات العالم الاربع . أهذا هو الموت ؟ أليس هو الحياة ؟ فموت المسيح هو بلا ريب موت معبود . فاذا كنت بعد هذا لا تدرك ان المسيح اله اكون قد أخطأت حين جعلتك قائداً من قواد جيشى » انتهى

(٢) شهادة روسو ([١]) فاه بها عند ما تأثر من قراءة الاسفار

---

(١) جان جاك روسو كافر مشهور فرنسى من ارباب الاقلام فى القرن السابع عشر قال عنه نابليون « اكبر مؤثر للثورة الافرنسية كتابات روسو » أ هـ

الالهية وشعر بهيبتها وسطوتها على القلوب قال — انني مقر بأن جلال الاسفار الالهية يشحذ عقلي وقداسة الانجيل تناجي قلبي ولها فيه وقع شديد . الا فتصفح كتب الفلاسفة وما فيها من الفخامة والبداعة . فاين هي من الانجيل فانها دون منه مكانة ومنزلة . فهل يتأتى لبشر أن يجيء بكتاب من مثله تسمو به فخامة المعاني وتوطئة سذاجة الكلام والمباني . أبشر من اوحى فيه بترجمة سيرته ام فوق البشر . ام هل اسلوب الكلام المودع فيه اسلوب مبتدع خبيث طماع كلا فالله صاحبه . ما الطف آدابه واطهرها ولله كلامه ما اسلسله واشد وقعة في القلوب ما اسنى حكمه وما أبلغ حكمة كلامه ما احضر فكرته وذاكرته وما ادق اجوبته وانسبها للمقام !

« هذا وناهيك عن تلك النفس الابية ما املكها للشهوات وابعدها عن الشبهات . فاي الناس بل اي الحكماء عمل وتجشم المشاق وتحملها وذاق غصص المنون من دون ان يرى من نفسه الضعف ان يستفزه التيه والعجب . ان افلاطون تصور باراً ومثله لنا رجلا أو قرته اوزار الاثم وهو اهل بكل مكافئة الفضيلة وجزائها فاذاً هو يمثل لنا بذاك حرفاً بحرف يسوع المسيح فان بين المسيح و بار افلاطون شبهاً كبيراً حتى اقر واعترف به كل الآباء واستحال الانخداع في شأنه فما اعظم اوهام من شبه ابن سفرونسك بابن مريم وما احمقه بل ما اقبح سريرته فشتان ما بينهما

« مات سقراط ولم يمسه عند احتضاره كبير أذى ولا لحقت به اهانة سهل عليه ان يحفظ نفسه و يبقى على فطرته الخلقية ولو لم تسعد

حياته بالانقضاء بمثل تلك الميتة لوجدنا سبيلا الى الشك فى ان سقراط مع انه كان ذا ذكاء رائع الا انه لم يكن الا سفسطياً . قيل ان سقراط بدع علم الادب . وقوم من قبله قد انجزوه فعلا وعملوا به فكان اجل ما عمل انه روى ما مضى عليه وعلم بأقواله ما مارسه الناس اعمالهم . لقد بر اريستديس فعالا من قبل ان يولد سقراط و بين ما البر؟ وفدى لاو يـنداس وطنه بنفسه من قبل ان يقول سقراط ان حب الوطن ضرب من اللازم . واكتسى اهل اسبرتا ثوب العفاف والقناعة من قبل ان يثنى عليها سقراط . وقد غصت بلاد اغر يقية آنام فضلا من قبل ان يقول سقراط ما هى الفضيلة

« اما يسوع فقل ناشدتك الله عمن اخذ من قومه مبادىء تلك الآداب الجليلة النزيهة التى علمنا اياها باقواله وجعلها بافعاله مثالا نقتدى به ؟ فان حكمه سامية رائعة قد اشرقت انوارها من خلال ظلمات التعصب المدلهمة . وكأن الفضائل الحسنى الجليلة صبت الى اذل الشعوب مكانة وحطت عنده عصا الترحال . فوت سقراط مطمئنا بين صحبه وهو يفاوضهم كان أهنأ ما يتمنى المرء من الميتات أما موت المسيح بين اوجاع تتنازعه وشتائم تتناو به وهزء تطارده جيوشه ولعنات يرشقه باسهمها قوم طغاة فكان شر ما يعاف الانام من ضروب الحمام

« ولما تناول سقراط كأس السم الزعاف شكر على من قدمها اليه وهو يبكى . و بينا كان يسوع واقفا تحت عذاب شديد حاد كان يصلى لاجل اعدى قاتليه فلعمر الحق لئن كانت حياة سقراط وموته حياة عاقل وموت حكيم فحياة يسوع حياة الله وموته موت إله » أ هـ

(٣) شهادات طائفة من العظماء : قال فورفريون الفيلسوف الوثني : « كان يسوع رجلا تقيا صعد الى السماء لانه كان محبوبا عند الالهة » أ هـ

وقال ستروس العالم المشهور (وهو من منكرى الوحى) : « كما يصغر شأن الانسانية بلا دين كذلك يقل قدر الدين بدون المسيح فهو الباقى الى الابد عنوان الدين الاسمى ونموذج الكمال المطلق ولا سبيل للحصول على التقوى الحقة بدون حضوره فى القلب » أ هـ

وقال رينان العالم الفرنساوى (استرح الأن فى مجدك أيها المؤسس الشريف فقد انتهى عملك وتأيد لاهوتك وليس بينك و بين الله فرق) أهـ وقال أيضا : (ان لم يكن المسيح الها فوجب ان يكون الهاً عند الصليب لاجل صفحه لاعدائه الالداء) أ هـ

وقال تولستوى الفيلسوف الروسى : (ان المسيح برهن على الوهيته بسلوكه اكثر مما بتعاليمه ومن ذلك انه قهر الشيطان وزجه فى اعماق الجحيم بقوله الاخير على الصليب (يابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يصنعون) أهـ

قال الفيلسوف ستورت مل : (لو امكن للانتقاد العقلى ان يجردنا من كل حقيقة فلا يمكنه ان ينزع منا حقيقة المسيح فهو الصورة المفردة التى تبقى عديمة التغير) أهـ

قال بينوزا : (كان المسيح هيكل الهى لأن فيه اعلن الله نفسه اعلاناً كاملا) أهـ

قال الفيلسوف ليكى (١) (كان للمسيح نفوذ لم يسمع عن مثله من ذى قبل حتى انه والحق يقال عمل بتاريخ حياته البسيط فى مدى الثلاث سنوات التى قضاها على الارض على تجديد الجنس البشرى ورفع شأن الانسانية مالم يكن فى استطاعة جميع الفلاسفة بكل مساعيهم وجمهور اهل الادب بنصائحهم أن يعملوا شيئا منه) أهـ

وقال العلامة نوح اليهودى (أى حق لمن يدعونه دجالا ونحن نرى اكثر من ١٥٠ مليوناً يعتقدون بالوهيته (٢) ومن حولنا ادلة لا عدد لها عن السعادة والايمان والحكم الصحيح والاحسان الحى العامل للخير الذى ينبعث من ديانته ولا مشاحة اذا قلنا ان الذى صير الجنس البشرى عظيما سعيداً لا يمكن أن يكون كاذباً فى دعواه) أ هـ

وقال الربى روفائيل وهو عالم يهودى ايضا (لقد سمعتمونى ادعو يسوع معلم الناصرة العظيم لذلك يلزمنى مع كل اليهود ان نقوم بواجب الاكرام له لأنه ليس من يهودى له قليل من العقل ينكر بأن التعاليم التى علم بها باسمه كانت من أقوى الوسائل لترقية العالم إلى ما بلغ اليه من

---

(١) الفيلسوف ليكى من اشهر الكفار

(٢) « هذا كان عدد المسيحين فى القرن السابع عشر اما الان فبلغ نيف وخمسمائة مليون فى العالم اجمع مع الازدياد المضطرد) أهـ

الشأو الرفيع من ذرى التمدن وارجاعه من ظلام الوثنية الدامس . ومن اعظم الاسباب لاذاعة الكلمة الالهية بين الامم ولا انكر أيضا عظمة جهل الذين حكموا عليه بالموت وقتلوه » أهـ

وقال العالم بولنجيروك : « ان نظام الديانة التى أنشأها المسيح وأذاعها ودون أصولها الرسل تام لا نقص فيه يقوم بمطالب الدين سواء طبيعى أو موحى به . والدين المسيحى كما هو فى الانجيل لا يحتوى على نظام كامل للدين فقط بل وصريح ايضا . والانجيل عبارة عن درس مستمر لأدق انواع الآداب والعدالة والاحسان والمحبة العامة كيفما اختلفت الاحوال » أهـ

قال جيبون المؤرخ والكافر المشهور « لا خلاف فى ان الدين المسيحى هو الدين الذى نشر بين الناس نظام الآداب النقى العام الموافق لكل أدوار الحياة والمطابق لارادة وحكمة الاله العظيم ومؤيد بتصديق الثواب والعقاب » أ هـ

وقال اللورد بيرون الشاعر الانكليزى الكبير « ان كان الله صار انسانا أو الانسان الهاً فالمسيح كان الهاً وانساناً معا : وأنى لم أطعن فى تعليمه قط ولن أمسه باعتراض ولكن أشكو مر الشكوى من اساءة الناس لاستعماله واهانته برداءة سيرتهم » أ هـ

وقال توماس باين العالم المشهور « ان المسيح دعا الناس لممارسة الفضائل الأدبية والاعتقاد بالاله الواحد وكان فاضلا ودودا . والآداب التى علم بها ومارسها كانت من أسمى أنواع الفضيلة » أ هـ

وقال أيضا العلامة رينان المذكور: « ان الله في الدين المسيحي أكثر من أي نظام ديني أدبي آخر. ولا ريب في أن المسيحية هي دين الشعوب المتمدنة وكل امة تقبلها بمعناها الادبي بنسبة درجة تهذيبها العقلي. فلنحافظ اذاً على المسيحية بمزيد الاكرام والاعجاب من أجل سمو قدرها الادبي وتاريخها العجيب ومؤسسها الطاهر وجمال كتبها المقدسة ومدنيتها الصحيحة » أهـ

الباب الثانى

فضل المسيحية

ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١٠ و١١)

ان الانسان قد تمتع قليلا بالسعادة فى الفردوس لأنه كان متحداً بالله ولا شك ان الشركة مع الله تولى الانسان سلاما واطمئنانا غير أنه ما لبث قليلا حتى وقع فى خطيئة التعدى فقضت على سلامه قضاء مبرما وتوجس قلبه خوفا ورعبا لأن الخطيئة قد اورثته الجبن والرهبة اذ الشر منبع الخوف ومذهب للسلام . فبعد ان كان الانسان يسر جدا بملاقاة العلى و يبتهج بمخاطباته العذبة صارت تجلياته تعالى من أرعب المناظر لديه حتى أنه لم يشعر بوقع خطوات الرب فى الفردوس إلا وانتابه الذعر فخفق قلبه جزعاً وقشعر يرة فولى الادبار ليختبىء بين الاشجار لعلها تستر عنه منظر جابله وأصبحت حالته كشقى قد أرهبته رؤ ية الحكم

وما عتم أن طرد من الفردوس حتى شهر ضده سيف الكرو بيم الملتهب المتقلب فكان ذلك مبدأ الخصام بين الانسان وجابله ثم بعد ذلك ازداد الوبال بما قدمه الانسان من العصيان والتمرد المتوالى فحمى وطيس الحرب بين الله القدير والبشر ية الا ثيمة فتقلص ظل السعادة وسادت

الرعوب وتنكد الضمير وصار القضاء الالهى يتهدد البشرية من وقت الى آخر بالاحكام الصارمة والعدل ينفذ احكامه فيها فانهمرت المياه الجارفة واغرقت البشر ولم ينج من هؤلاء الا ثمانية اشخاص فى سفينة ومن هؤلاء تكونت نواة الهيئة الاجتماعية مرة أخرى

هذا وصف اجمالى لحال الانسان قديما حينما سلبت منه السعادة ولم يعرف لها طريقا ولا مكانا بل كانت العدالة الالهية تقتص منه فى أوقات كثيرة على اساليب متباينة تارة بالماء وأخرى بالنار وكان يظهر من خلالها ان الطبيعة فى أشد التهيج ضد الانسان الآسيف ثأراً لالهها وغدت الظهورات الالهية من مجلبات الروع والاضطراب وموجبات الخشية والرهبة حتى امست كانها نذير الموت الاحمر

الفصل الاول

عجز الشرائع عن تخليص الانسان

لما ساء حال الانسان اذ كان خلواً من كل شريعة الا شريعة الذهن أو الضمير أراد المولى أن يسن له شريعة يسير بموجبها حتى « وقت الاصلاح » (عب ٩ : ١٠) فوضع على قلبه رقباء و وسطاء لكي يحفظوه من الشر والخطية فوضع أولا ناموسا صالحا و وصايا طاهرة اذا سار بموجبها لا تزل قدمه ولا يتكدر ضميره ولكن هذه النواميس والوصايا أثقلت كاهله بالذنوب لأنها كانت ممزوجة بتوعدات رهيبة وعقابات صارمة حتى من هولها صرخ موسى قائلا « أنا مرتعب ومرتعد » فأمسى الانسان يأتي الشر و يرتكب الاثم فيضاعف عقابه و يصير عقابين عقاب فعل الخطية وعقاب تعدى الوصية . وثاني رتبة المرسلون والأنبياء ولكن هؤلاء أنفسهم لم يستطيعوا أن يحفظوا ذواتهم مما حذروا الناس عنه لأنهم من البشر الخطاة

ومع كل ذلك كان الخوف يمتلك كل قلب فما كان احد يجسر على الدنو من قدس الاقداس بل امسى الانسان واقعاً تحت قلاقل الريب وعوامل الشك . ألا فاذكروا نبأ ظهور الله على جبل سيناء فكم كان ذلك باعثاً على الخوف والرعب محاطا بما من شأنه أن يولد الفزع والاضطراب اذ كان الجبل مضطرما بنار تميد من هنا ومن هناك بحالة مخيفة والدخان يتصاعد كضباب كثيف والرعد يهزم كأنه يتوعد بشر مريع والبرق يومض

كأنه ينذر برشق البشر بسهامه الذريعة والبوق يزمجر باصوات مرعبة حتى رسخ فى الذهن ان الهول فى القرب من الله لاسيما والله نفسه قد صرح « ان الانسان لا يرانى و يعيش » خر ٣٣ : ٢٠ كما قال منوح لامرأته « نموت موتا لاننا قد رأينا الله » قض ١٣ : ٢٣ فكل تلك المخاوف قد ازالت السعادة والطمأنينة . زد على ذلك ان الشريعة كانت صعبة لان كلام الناموس كان شديداً « استعفى الذين سمعوه ان تزاد لهم كلمة لانهم لم يحتملوا ما أمر به » عب ١٢ : ١٩ و٢٠ والطقوس كانت كنير ثقيل « لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نحمله » أع ١٥ : ١٠ ومخيفة جداً اذ كنت ترى السكين ابداً منتضاة ومتعطشة لسفك الدماء ، والنار تنقض يومياً على الذبيحة فترمدها فكل هذه الامور كانت تدل بصراحة على تلاشى السلام بين الله والبشرية الاثيمة ولم تكن كافية ان تريح ضمير الانسان وترقى نفسه وتطمئن قلبه

هذا من جهة الشريعة الموسوية وهكذا قد ظهر عجز الشرائع البشرية الأخرى فان الفلسفة اليونانية التى بلغت شأواً عظيما فى التقدم فى وقت لم يكن احد يهتم فيه بالعلوم والفنون لم تصل الى تلك الغاية العظمى التى يرومها الانسان وهى السعادة وراحة الضمير ، فان اساطين تلك الفلسفة انفسهم عجزوا عن اراحة ذواتهم فكيف يستطيعون ان يريحوا ضمائر الناس ؟ واليك بعض شهادات من اقوالهم تدل على ظهور عجزهم واقرارهم به :

وقد علم سقراط المدعو شيخ الفلاسفة وامام اهل الحكمة ان الله

غير ممتاز عن العالم وامر عند موته ان يضحى بديك كان عنده الاسكو لابيون (١) مع انه اعتبر شهيد التعليم بوحدانية الله

وافلاطون المدعو المعلم الالهى جعل الله بمنزلة النفس للعالم واعتقد بالتناسخ واباح قتل الاولاد القبيحى المنظر « ارسطو» علم تكون المادة ابدية وارياب بخلود النفس . (فيثاغورس) اوجب عبادة النجوم ودافع عن التناسخ . قال صولون (ان قصد الالهة مكتوم تماما عن البشر)

قال سقراط ان كل معرفة صحيحة عن الالهة هى من الالهة وقال ايضا عند موته « ارجو أن أكون منطلقا الى اناس صالحين ولكن لست ار يد أن آخذ على نفسي تثبيت هذا الامر »

قال افلاطون « ليس لنا أن نعرف الحقائق الا من الالهة أو من أبناء الالهة وليس من وسيلة لمعرفة ارادة الالهة الا بنبي يعلنها لنا »

قال شيشرون « ان كل الأشياء محاطة بظلمة دامسة تسترها حتى لا تقدر قوة عقلية أن تستكشفها » وهذا ما حدا بالفيلسوف سنيكا أن يقول « ان الخلود شيء مشتهى جداً ولكنه موعود به أكثر مما هو مثبت »

قال أرسطو عند موته « لقد جئت الى هذا العالم عريانا وعشت فيه شقيا تعيسا وأموت الآن فى حيرة لأنى لست أعلم الى أين مصيرى

(١) كلمة يونانية معناها إله الطب

وانتهائى ، ولكن أنت ياموجد كل الموجودات وعلة العلل ترأف على وارفق بى »

هذه بعض من اعترافات كبار الفلاسفة وأعاظم اهل العلم وكلها تدل على انهم عاجزون عن معرفة الحق ، بل ضلوا ضلالا فظيعا واضطروا الى الاقرار بالضعف والقصور

وإذا تأملنا اعتقادات الامم الأخرى الوثنية لاسيا فى ما يختص بخلاص النفس من ربقة الاثم وجدنا الوسائط التى يستعملونها لذلك تافهة لا تروى لهم غليلا ، و باطلا يقومون بها فن ذلك حينما يشعرون بالتعب من خطاياهم يشير عليهم الكهنة باحتمال الالام المتنوعة لا للحصول على التبرير وانما يرجون رجاء باطلا بأنهم يرضون آلهتهم فيغفرون لهم خطاياهم . فترى الكهنة تارة يأمرون الشعب بالسير حول الهياكل لابسين أحذية فى نعالها مسامير حادة الرؤوس حتى اذا تحركوا تنخس أرجلهم وفى كل خطوة يخطونها يتألمون من تلك المسامير ويخرج الدم منها ، وطوراً يأمرونهم فيضطجعون أياما وأسابيع أو أشهراً على فراش مغطاة بمناخس من حديد ضخمة الرؤوس وأحيانا يلزمونهم بأن يثقبوا السنتهم و يدخلوا فى الثقب قضيبا .

قال الدكتور نيوتن « وهناك قدام الهياكل سقالة يكون علوها طبقتين أو ثلاثا وعند أسفلها توضع على الارض اكياس صوف مسطحة فيها مسامير حديدية ومن يريد من الشعب أن يرضى الالهة ويحصل على

غفران الخطايا يؤمر بأن يصعد على تلك السقالة و يقف على طرفها و يطرح نفسه فيسقط على تلك المسامير والجمهور العظيم واقف لمشاهدة المنظر. وحالما يسقط أولئك المساكين على تلك المناخس الذريعة المؤلمة يصفق الجميع بأيديهم و يرتفع ضجيجهم وصراخهم الى طبقات الجو كأنهم يرون أمراً مفرحا »

والخلاصة أن كل الوسائط التي استعملها الانسان لتطمين خاطره واراحة فكره لم تجده نفعا وقد غدت بلا طائل لولا ظهور الديانة المسيحية التي أتت بالمطلوب وقضت ما هو مرجو ومرغوب . وقبيل ظهور هذه الديانة كانت جميع الطبيعة البشرية تصرخ الى السماء ولسان حالها يقول « انه وقت عمل للرب قد نقضوا شريعتك » مز ١١٩ : ١٢٦ فكان جوابه تعالى في جميع تلك التجهيزات التي أقامتها عنايته « قريب بري . قد برز خلاصي » أش ٥١ : ٥

الفصل الثانى

العالم والمسيحية

١

فى سنة ٤٠٠٤ للخليقة ولد السيد المسيح وفى ليلة ميلاده طافت ملائكة السماء بقياثيرها الشجية تهنىء أهل الارض قائلة « ها نحن نبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انه قد ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١٠ و١١)

ولا عجب من قولهم هذا لأنه بميلاد المسيح كان قد حان الوقت الذى فيه تزول الظلمة الروحية الداجية التى غطت الارض مدة اربعة آلاف سنة والذى فيه يسحق رأس الحية العتيقة أى ابليس و ينادى للاسرى بالاطلاق والحرية وللعمى بالبصر و يسهل الطريق لنوال المغفرة والسلام لجميع بنى البشر. وأيضا كان قد قرب الميعاد لاظهار واثبات الحقيقة الجليلة وكشف السر المكتوم منذ القديم اى الطريق التى بها يصفح الله عن الخاطىء بمجرد رحمته اكراما للمسيح بدون أن يناقض أحكام عدله وقداسته وكان الخلاص العظيم مزمعا كذلك أن يظهر و يتم حقيقة وفعلا لا بواسطة رموز وكنايات مبهمة . والمعرفة بالله و بشريعته التى كانت منحصرة فى أمة اليهود كانت عتيدة أن تنتشر بين سائر الشعوب والامم على وجه الارض كلها

وقد بث السيد المسيح تعاليمه فى نفوس تابعيه الا ثنى عشر وهؤلاء جالوا يكرزون بها وأتوا بواسطتها أعمالا تعد من المعجزات فازالوا الجهالة واستبدلوها بالعلم ورفعوا الدين الالهى النقى فوق الاديان الباطلة بعد أن اماطوا اللثام عنها فاستجلوها وأفرغوا جهودهم فى مقاتلة اعداء الدين والحرية والعلم فرجعوا فائزين منتصرين وعلموا الناس مبادىء الدين والشرف بما أنار الخافقين

ولا ريب ان هذا التعليم الجديد قد عمل على تغيير الانسانية تغييراً كليا وكان من أثماره أن اطمأنت القلوب الخائفة وسكنت الافئدة الواجفة وهدىء الضمير المروع وأدرك الانسان أصل وجوده وغايته ومصيره ، الامور التى بحث عنها الفلاسفة طويلا ولكنهم عجزوا عن ادراكها فلم يمكنهم أن يخبروا عن صفات الله بأجلى بيان ولم يكن لهم أن يؤكدوا للناس غفران خطاياهم لان الطبيعة لم تعلم بذلك وكل النواميس البشرية عجزت عن ارشادنا الى الكمالات الالهية ووصف الحالات التى تكون بعد القبر وعقيب نهاية العالم ولم تستطع أن تخبرنا عن الخلود الابدى ويصح فى هذا قول هيوم الكافر الشهير: « ان الديانة فى كل ابوابها لغز وسر لا يحل ، وجل ما نحصل عليه من أدق البحث عن هذا الموضوع هو الشك وعدم التأكيد والتوقف عن الحكم » ويماثله قول الرسول « ان العالم لم يعرف الله بالحكمة » (١ كو ١ : ٢١)

ان الديانة المسيحية هى الديانة الوحيدة التى تفضل بها الله على بنى البشر قانونا للحياة قاضيا بها على الجهالة فهى مرشد لنا فى هذه

الحياة تعلمنا كيف نحيا ونعيش للبر وكيف نسلك مع المسيح وكيف نعبد الله

ومن المحقق الذى دل عليه الاختبار ان كتب اهل الاديان الاخرى لا تؤدى بأصحابها الى شيء مما يدلنا كتاب المسيحية اليه . فأى كتاب منها يسكن روع الخاطىء من هول الحساب وأى منها يستميل القلب والحياة و يعده لسماء طاهرة لا تدخلها الشهوات ولا تحوم حولها الادناس . يسكن فيها جماعة المخلصين الذين نالوا الحرية الكاملة الخالية من كل عيب ودنس ونقص الى غير ذلك مما هو مخالف لطبيعة الله الكلى القداسة . فتلك الاديان لا تدل على طريق الخلاص من الخطية ولا كيفية احراز القبول لدى الله بل تغادر الانسان بدون أن تروى له غليلا

وإذا أردنا أن ندرك فضل المسيحية فيجب علينا أن نلقى نظرة على حال العالم قبل ظهور هذه الديانة فقد أخبر مؤرخو ذلك العصر أنه لما اتى المخلص له المجد الى العالم كان العالم فى حالة الغباوة والشر . وكان الجميع خلا الاسرائيليين عبدة أصنام وحياتهم كديانتهم مملوءة فسادا وشراً اذ لم يكن لهم رجاء ولا إله حسبما قال عنهم بولس الرسول فى (اف ٢ : ١٢)

وتاريخ تلك الازمنة يشهد بأن الناس لم يكونوا يعبأون كثيراً بالشر و يظنون أنه أمر فظيع بل كانوا يمارسون كل انواع القساوة التى تملأ الانسان نفورا وكرها بل كانوا يتوهمون ان فى ارتكاب المعاصى ارضاء

الآلهة . لهذا كانوا يطلبون من الالهة أن تساعدهم على السرقة والكذب والفسق وغير ذلك

وحتى البلاد التى كان لها قسط وافر من المدنية والعلم كروميه و بلاد اليونان لم تخل من امثال هذه المنكرات بل فشت بينهم العبادة الوثنية وآلهتها التى كانت لا تسر حسب عرفهم الا بسفك الدماء وتضحية الاجساد الطاهرة والنفوس البر يئة على مذابح الشر والفساد فسفك الاباء نفوس الابناء وقتلت الامهات بناتهن أمام تلك الاحجار الصوانية التى لا تشعر ولا تحس ، وهكذا كنت ترى الرجل فى خيفة من زوجته واولاده حتى ارتعشت الفلاسفة وخافت العلماء من ان تقضى هذه العبادة الباطلة على حياة الجنس البشرى ، لكن والحالة هذه ظهرت الديانة المسيحية فغيرت نظام العالم من هيئة منحطة فى الآداب الى هيئة سامية سماو ية وقضت على تلك الفظائع وازالت الرذائل واجلست على عرشها الفضائل فساد الامن وعم الاطمئنان

قد احدثت المسيحية تأثيراً عظيما فى العالم لانه حيث تغلبت وقبلت باعتبار عظيم ورسخت تعاليمها بايمان وطيد وامتثلت أوامرها افادت الهيئة الاجتماعية ورفعت شأنها وجعلت احوال البشر افضل مما كانت عليه قبل دخولها بينهم

ذلك هو فعل الدين المسيحى ، الدين الذى اتى من السماء ووضع اصوله ابن الله وتأيد بالأيات الباهرة والمعجزات القاهرة وصحت فيه النبوات الظاهرة وثبت بدم المسيح ورسله الذين ماتوا نصرة لحقه و بانت

قوته فى الذين جاهروا بحقائقه مقتحمين غمرات الموت باشكال العذاب مستسهلين الاستشهاد على ترك الايمان به

الدين المسيحى هو أقوى أساس يبنى عليه التهذيب الحقيقى والارشاد الكامل الى سبل الحياة وطريق الاستقامة ، وعلى اعمدته تشاد دعائم الفضيلة والآداب العالية و به تستضىء افكار الحكماء والعلماء وتستنير أذهان الجهلاء والبسطاء

الدين المسيحى هو الدين الذى انشأ فى الوجود انسانية جديدة لم تكن قبل ظهوره . هو الذى علم الناس مبادىء الشرف والعدل وهو الذى ارشدهم الى طريق الخلاص بالمسيح يسوع ليكونوا آمنين وقت الموت وسعداء فى الابدية وذلك للاسباب الا تية :

١) لسمو تعاليمه . أجل أن بين البشر فلاسفة محنكين وعلماء مدربين تكلموا بأقوال نفيسة ونطقوا بحكم معتبرة جديرة ان يتمثل بها الانسان فى كثير من الظروف المختلفة ولكنهم لم يحيطوا علما بدائرة الاختبار الكافى ولم يتوصلوا الى درجة بها يعرفون الدواء الشافى للعلل الكثيرة التى تنتاب الشر وان كانوا قد علموا بعض الصفات الواجب الا تصاف بها ولكن قانونهم القاضى ببقاء الانفع يقول « باماتة العجزة والشيوخ ومن لاقدرة له على الا تيان بفائدة » ولذلك لم يستقبح افلاطون قتل كل مشوه الوجه ، ومن هذه الشريعة عمد اهالى اسبرطه الى قتل كل طفل يولد ضعيف البنية على حجر أمه . ولكن الدين المسيحى تمتاز مطاليبه عن مطاليب سائر الاديان بل تتميز آداب الكتاب المقدس والدين

المسيحى عن كل ما سواهما بل هو يرفض بالكلية فى كل تعاليمه رذائل الشر و يستهجنها و يرفع شأن كل ما يليق بالبشر من الفضائل و يأمر قائلا « كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن ان كان فضيلة وان كان مدح ففى هذه افتكروا » فى ٤ : ٨

٢) لتأثيره فى المدنية الصحيحة . ليس من ينكر ان الدين المسيحى عامل على امتداد المدنية باحياء روح الوحدة فى قلوب تابعيه وايجاد مبدأ الاشتراكية الصحيح والاخوة الحقة بين أفراد الامم المتنوعة التى يعمل على توحيد افكارها وجمع شتات أغراضها الى عائلة واحدة تسعى السعى المشترك للصالح الواحد العام بغض النظر عن اختلاف الجنس والوطن . العلم دفعنا الى الرفق بأولى العلم نظيرنا أما المسيحية فتعلمنا أن نشفق على جميع الجنس البشرى على اختلاف طبقاته

زد على ذلك ان الدين المسيحى يعمل على الدوام على نصرة الفضيلة بل هو مصدرها وعلة وجودها ولما كانت المدنية الصحيحة لا تقوم الا بالفضيلة كان الدين المسيحى علة المدنية بلا خلاف

٣) لتغلبه على جميع الموانع التى كانت سداً بين طبقات جميع الشعوب . قد أزال الدين المسيحى هذه الصعوبات بعكس الاديان الاخرى فاليهودى يكره السامرى والصينى يدعو الاجنبى شيطانا والرومان واليونان يقتسمون الناس الى متمدينين و برابرة و يقسمونهم الى مؤمنين

وغير مؤمنين وشتان بينهما . ولكن ليس كذلك فى المسيحية فلا فرق بين شعب وشعب أو جنس وآخر، ليس يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ليس ذكر ولا انثى لانكم جميعا واحد فى المسيح يسوع (غل ٣ : ٢٦ — ٢٨)

أو ليس الدين المسيحى هو الذى نقل العالم من العبودية الجائرة الى الحرية والمساواة والاخاء . ألا ينسب له الفضل فى منع النخاسة (الاتجار بالعبيد) ووقوفه كالسد المنيع ضد من يتجارى على ذلك ؟

انقضى الزمن القديم و بث السيد المسيح تعاليمه الفضلى الجديدة المؤسسة على الحرية ورفع لواء شأن الأنسانية فانقذ العبيد الارقاء بواسطة تعاليم الانجيل الصالحة كما مر بنا ولكن أمرت الشريعة المسيحية بان يخضع العبيد لمواليهم خضوعا تاما (غل ٥ : ١٣)

وعليه فلا بدع أن قلنا أن شجرة الحرية الحقيقية لم تنبت الا فى بستان الانجيل وعبثا نحاول الوقوف على مصدر آخر للحرية غير الدين المسيحى فهو وحده الذى وضع أصولها وقرر مبادئها وعلم الناس حرية الفكر ليعتقدوا ما يعقلون وما تقبله الضمائر و بالجملة فالدين المسيحى رفع قدر الانسانية وضرب على الاستبداد بيد من حديد وأنشأ فى الوجود هيئة توفرت فيها شروط المدنية على مبادىء صحيحة حرة فى مبادئها منتظمة الشؤون

٤) برهان ملموس : من أراد ان يتحقق فضل الدين المسيحى

تحقيقا لا شك فيه فليوجه نظره نحو الامم الخالية من اصوله التى تجردت عواطف أهلها من مبادئه فانه لا يرى الا فسادا ينبع وشرورا تلمع ومطامع لا تشبع ودماء تسفك على أرض لا تبلع . قال أحد الافاضل « أجل نظرك الى آداب المملكة الرومانية قديما أو ايطاليا تحت سلطة ملوكها الاولين والى فرنسا زمن ثورتها المشهورة حين خلعت الدين . انظر الى مبادىء الفوضويين والاشتراكيين المتطرفين الذين جل مقاصدهم افناء العائلات وتقويض اركان النظام العمرانى وابطال الاعتقاد بالله . ماذا ترى الاوحوشا فى اجسام بشرية بل شياطين فى صور انسانية تجردت قلوبهم من عاطفة الرفق والحنان وخلت مشاعرهم من الحب لاخوتهم بنى الانسان » أما الدين المسيحى فاذا وجهت نظرك الى نتائج تعاليمه ترى آثار الخير المنتشرة فى الارض المخففة لالام الانسانية العاملة على ازالة ويلاتها وبه كثر الاجتهاد والذكاء وشيدت المدارس والكنائس والمستشفيات والجمعيات الخيرية والتبشيرية وتقدمت العلوم والمعارف ولا ريب أن اية دولة تضع قواعد الدين المسيحى نصيب عينيها ترتقى رقيا صحيحا . وقد شهدت بذلك الملكة فيكتوريا عندما أتى اليها سفير أمير افريقى ارسله مولاه ليعلم سر القوة الانكليزية اذ قالت لوزيرها « قل للامير ان هذا (واشارت الى نسخة من الانجيل) هو سر عظمة انكلترا »

٥) لتأثيره فى الافراد والجماعات . دخل الدين المسيحى الى قلوب الافراد فملأها كمالا وقداسة وطهرها مما تلوثت به من أدناس الشوائب الحسية وعمل على تجديد الانسان وتنظيم اموره واعلاء قدره

وتغيير مبادئه فصار يميل بعاطفة المحبة الطاهرة الى القداسة والى اخوته بنى الانسان و يعمل لخيرهم و يسعى فى تخفيف و يلاتهم

ثم دخل العائلات فرقى نظامها وعلم المرأة احترام الرجل وارشد الرجل الى واجباته نحو المرأة وهذب الاولاد على طاعة الوالدين وأوصى بالاعتناء بالمرضى وافتقاد المحبوسين والاسرى . واذا وجهت نظرك فلا تجد اسعد واتم نظاما من هيئة يعيش افرادها مسيحيين بالحق يسيرون حسب ارادة مولاهم في القول والعمل . كما أنك لا تجد دينا فى العالم يبعث على احياء العواطف الميتة ويخلق التأثير العجيب فى الضمائر النائمة سوى الدين المسيحى فانه يفعل ما لا تفعله السيوف البتارة ولا تقدر عليه صولة الجبابرة و يفتت صلد الصخور القلبية ويحول الذئب الضارى الى حمل وديع و ينهض بالناس من سنة النوم الى طلب المغفرة ونيل الخلاص المجانى

ذلك الدين الذى أثر على الاخلاق والقلوب وغير أكبر الامم وأعظم الشعوب ونقلها من اخلاق الوحوش الضارية والاسود الكاسرة الى الرفق واللين ، بل من الهمجية الى المدنية ، ومن التوحش الى الانسانية ، ومن الغباوة والجهل الى النور والفهم ، من أكل أموال الايتام والارامل الى مساعدة الاقوياء للضعفاء والاغنياء للفقراء ، من عبادة الاصنام والحيوانات الى عبادة خالق الارض والسموات

لا تجد مكانا آمنا مطمئنا فيه يحترم الاباء أولادهم و يعتنى بالاطفال و يعرف مقام المرأة و يرثى لحال الفقير و يشفق على البائس المسكين و يعال المقعد العاجز الا حيث امتدت سطوة الدين المسيحى

وعرفت قواعده . واذا راجعنا تاريخ الجنس البشرى ونظرنا الى احوالهم اجمالا لرأينا من تأثيره فى الافراد والجماعات ما يجعله فوق كل كلام فكم هذب ودرب أقواما وأرشد خطاة وهدى ضالين وجعل السكير أبياً والزانى عفيفا والشرس لطيفا ، ورفع عائلات ونظم جماعات . وتأثيره على الخصوص خفى فى القلب مع ما فيه من الجلال الباهر والجمال الساحر، الامور التى لا يتسنى للمبادىء السياسية والعلمية مهما كانت أن تعمله لأنها وان كانت توسع دائرة العقل وتثقفه الا انها عاجزة عن زرع بذور الحب وعن السيادة على القلب الذى منه مخارج الحياة ولا تستطيع التسلط على الضمير، و بدون اصلاح القلب لا يمكن الحصول على الاصلاح الحقيقى الواجب لارتقاء الامم . لذلك يكون الدين المسيحى وحده هو القادر على هذا الامر

هذا ولو أردنا أن نتكلم عن كل الاصلاحات التى أجراها الدين المسيحى فى العالم والتى تدل على فضله لأحتجنا الى مجلدات ضخمة ولذلك نكتفى بما ذكرنا كما أن النور لا يمكن اخفاؤه والشمس لا يمكن أن نحجبها بكفينا . غير أننا نسأل أعداء الدين المسيحى هذا السؤال : هل لكم أن تأتوا بدين يفعل هذا الفعل الغريب و يؤثر فى نظام البشرية هذا التأثير العجيب . أتحفونا بدين مثله أن كنتم صادقين . تصوروا ماذا يحصل للعالم لو انتفى الدين المسيحى ؟ أو ترى كيف يكون حال العالم لو رفعت منه قواعد الدين المسيحى ؟ ألا تعلم أن الفوضى تعم والخراب ينتشر والارض تصبح جحيما لا يطاق ؟ قال مرة رئيس الولايات المتحدة « ان كل رجاء فى تقدم البشر متعلق على تأثير المسيحية المتزايد »

الباب الثالث

معجزة المسيحية

المعجزة هى فعل محسوس مذهل مخالف للنظام المعتاد ولشرائع الطبيعة اذ أن ما يحدث بموجب شرائع الطبيعة و يكون موافقا للنظام الاعتيادى يسمى حادثا طبيعيا واما ما يحدث خلافا لشرائع الطبيعة و يكون مصحوبا بتعريف سابق بأن ذلك موافق لارادته تعالى ومصنوع بقدرته فهو معجزة . فمثلا من شرائع الطبيعة ان الميت لا يرجع الى الحياة فلو رجع لكان ذلك معجزة

وعلى مقتضى هذا التعريف فان من له المام بالحوادث التاريخية و يتتبع تاريخ الديانة المسيحية من بدء تأسيسها لغاية الآن يرى أن وجود هذه الديانة و بقاءها للآن معجزة فى بابه اذ من المعروف ان الامم لا تقوم لها قائمة والهيئات لا تتكون والممالك لا تثبت الا بالقوة . هذا شىء طبيعى يؤيده المشاهد وتؤمن عليه الشرائع الطبيعية التى تجعل القوة والعظمة أمرين متلازمين . ولكن مما حدث معجزة مخالفا لسنة الطبيعة ان الديانة المسيحية تأسست بالضعف وقامت باللاقوة . ونجاح الانجيل واتساعه لم يتم الا بوسائط ضعيفة وذلك برهان على أنه من الله

ولا خلاف فى أن الاديان الاخرى لم تتأيد فى الارض الا بقوة

البشر ولم تقم لها قائمة الا بتدبيرات طبيعية . فبعضها نجح بالسيف والآخر بالحيلة والتدبير البشرى وغير ذلك من الوسائل الزمنية . أما الدين المسيحى فجل عن ذلك كثيرا وسما عن غيره ولم يتخذ وسيلة بشرية لنشر فضائله بل أذاعها باظهار سموها بين الناس . نعم قد ينتشر الدين بقوة السيف أما الدين المسيحى ففضلا عن كونه تجرد من هذه القوة فكان السيف واصحابه ضده وضد أتباعه . وقد يعم الدين بالنفوذ السياسى ، أما المسيحية فكانت السلطة المدنية ضدها تريد اعدامها

ولو كان الانذار بالانجيل مستندا الى اعمال الطبيعة ومساعداتها لكان ذلك ابطالا واضعافا لقوة الصليب العجيبة ، فالانجيل بدون الاستعدادات البشرية قرر له بقوة الله أن يفتتح بنفسه القلوب و يبين للعالم بهذه المعجزة انه آت من الله و بذلك أخزيت تلك القوة الانسانية وهذه الحكمة البشرية . و ينتج من ذلك ان اهتداء الأمم ودخول الكثيرين الى المسيحية وتلك الأقوال التى أدهشت المتقدمين وأعجزت المتأخرين لم تكن من قوة البشر و براهينهم المقنعة .

أجل . أن نجاح الانجيل أولا فى تلك الأوقات هو معجزة عظيمة ليست من الأرض بل من فوق فمجرد النظر الى صفات العصر الذى انتشرت فيه المسيحية يتضح ان ثبوتها فيه كان بقوة الله ، فان اعداءها كانوا اقوياء . هذا فضلا عن تشبث كل امة بديانتها . والديانة المسيحية أتت لا لكى توجد فقط بل لتلاشى الأديان الفاسدة الأخرى فهمتها كانت صعبة للغاية . فماذا يعمل اشياع هذه الديانة وكيف يستطيعون ان

يغيروا القلوب عن اديان الفوها و وجدوا آباءهم عليها ، الى ديانة حديثة لم يعرفوها ولم يسمعوا بها من قبل وهى « المسيحية » و يرجح ان هذا اللقب « مسيحى » كان فى الأول شتيمة « ١ بط ٤ : ١٦ » حتى أن اغريباس قال لبولس « بقليل تقنعنى أن اصير مسيحيا » (أع ٢٦ : ٢٨) والمعنى ان حسن برهانك يجعلنى ارضى ان اعاب بهذا الاسم

ويجب علينا ان نلاحظ انه كان وقتئذ لكهنة اليهود والأمم سلطة ونفوذ . ومشروع المسيحية يقوض كل سلطة لهم ولذلك ينتظر ان تكون مقاومتهم للمسيحية شديدة جدا . كما ان السلطة العالمية كانت ترتعد فرقا مخافة ان تكون الديانة المسيحية آتية لتحل محل الملوك والولاة ، ولهذا كنا نرى الامبراطور دومتيانوس يتوجس خيفة عندما يسمع عن المسيح بأنه ملك ، وكان يخشى ان يأتى المسيح يوما و ينزع الملك من يده ويجلس مكانه لأنه لم يكن عارفا ان ملكوت المسيح هو ملكوت روحى وان ملكه هو فى قلوب الناس لا فوق اعناقهم

لهذه الأسباب اتحد على مقاومة الانجيل جمهور الشعب والعلماء والكفرة والكهنة وسلطان الحكم المدنى . ولأجل ذلك كان امام المسيحية صعوبات كثيرة وعقبات عديدة عليها ان تقاسيها وتجتازها لكى تقوم بما عهد به اليها . وكان لها ان تتذرع بقوة عظيمة تفوق كل تلك القوى التى كانت تعمل على محو اثرها من الوجود

ولا ريب ان الأمم تربصت للمسيحية فى ابان ظهورها اذ علمت بعظم الخطر الذى يلحق مصالحها من جراء مبادىء هذه الديانة

فتألبوا على معارضتها وراموا تقويض اركانها وعرقلة مساعيها . ولكن من هنا يظهر وجه الاعجاز الذى نتكلم عنه فمع ان اضطهاد المسيحيين قد لازم حده والضيق اخذ اشده وشرع السيف يعمل فى رقابهم حتى قتل منهم الوفا على اشنع طريقة سواء بالحرق او بطرحهم للوحوش الضارية . مع كل ذلك نرى ان ذلك الحق الذى كان ينادى به اولئك المضطهدون والمهانون والمزدرى بهم قد رسخ كاملا وثبت عاملا واستمر لامعا بنوره الساطع وممتدا الى كل اقطار العالم ولم يمض الا قليل من الزمن حتى آمن الوف بالديانة المسيحية في أورشليم وأماكن أخرى في بلاد اليهودية . وفى بلاد الوثنيين كان النجاح أكثر سرعة واتساعا ، وما مضى على ظهور المسيحية نصف قرن حتى قامت كنائس فى أعظم مدن الولاية الرومانية جميعها التى كانت اذ ذاك ممتدة فى أكثر الأقطار المعروفة حينئذ من الدنيا . وكان كلما حمى وطيس الاضطهاد كثر عدد الداخلين الى حضن المسيحية ومازال الأمرينمو و يتقدم حتى صارت الديانة المسيحية ديانة القياصرة وأشراف ولايتهم وذلك فى أقل من ثلاثة قرون بعد قيامة المسيح

تلك هى الموانع والصعوبات التى احاطت بها المسيحية والتى هبطت عليها كالسيل الجارف غير انها لم تتنكص الى الوراء ولم ترتد على عقبيها خاسرة بل ثبتت غير متزعزعة ، وهذا ما يقودنا الى الاعتراف بأن قوة سرية كانت تعمل فيها وبها وهى التى حفظتها فى كل تلك الادوار المريعة التى مرت عليها . قال كارليل الكاتب الانكليزى الشهير: « كيف نجح هذا الدين وامتد بين الناس ؟ هل بالأندية ودور التعلم والتدابير الطبيعية العقلية ؟ كلا ولكنه بخلاف ذلك يضعف تأثيره بمثل

هذه الوسائل . ولأنه ليس بدين عقلي فلا يمتد بالوسائط العقلية . ولا هو نظام بشرى فلا ينجح بالأسباب الزمنية ولكنه روحى يتقدم بالطرق الالهية . فقد نشأ فى أعمق أعماق النفس وانتشر بالتبشير بالكلمة لا بالأدلة والمناظرات الفلسفية والبينات المنطقية وامتد بالاقناع الداخلى بوسائط ضعيفة فكان كلهيب النار يندلع لسانه ممتداً من قلب الى قلب حتى تطهرت قلوب تابعيه وضاءت بنوره الآلهى الفائق واشرق على ظلام العالم كالشمس فى ضحاها . وأنار فى دجى ليل الجهالة فبدد غياهبها — ولا أثر للمساعى البشرية فى نجاحه ولا للوسائط المادية الزمنية فى انتشاره »

حقا انه لأمر عجيب . وما يدعو إلى العجب أكثر فاكثر اذا تأملنا فى المصدر الذى كانت تستمد منه المسيحية قوتها والذى به تثبت أساسها . ولنتأمل الآن فى ثلاثة أمور كانت العوامل الوحيدة فى بقاء المسيحية سائرة على مبدأ الزيادة الفائقة حتى الان .

الفصل الاول

الصليب

« فان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة واما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » (١ كو ١ : ١٨)

ان الديانة المسيحية هى ديانة المعجزات والعجائب لهذا لا غرابة ان كنا نرى أول سلاح استعملته لتأييدها ، وأعظم قوة أطلقتها على خرافات الوثنيين وأوهام اليهود ، وأهم نبال صوبتها الى القلوب القاسية وأسرتها هو « الصليب » ذلك الذى لم يجد بولس شيئاً يفوقه حتى يفخر به فقال « وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح » (غل ٩ : ١٤) هناك من أعلى جبل الجلجثة صدر المرسوم الملوكى بوجود المسيحية « قد أكمل » يو ١٩ : ٣٠ وهناك تحت خشبة الصليب انسكبت قطرات الدم الثمين التى بها كتبت معاهدة الصلح بين الله والبشرية الأثيمة وبهذه الدماء الكريمة تأيدت المسيحية « ذبحت واشتريتنا لله بدمك » رؤ ٥ : ٩

لا نقصد « بالصليب » قطعة الخشب التى استعملت لا تمام هذا الغرض بل نريد بذلك العمل العظيم الذى تم بالصليب ، لا بل ذلك

الرجل العظيم « المصلوب » مؤسس المسيحية . كثيراً ما احتقرت المسيحية لأن رئيسها مات « مصلوبا » ولكن قد مضى ١٩ جيلا منذ تأسست المسيحية وقد هلكت فيها النسور الرومانية ، واشعة الصليب لا تزال تضيء فى القلوب ومن اعلى قباب الكنائس فى أنحاء العالم وصارت المملكة المسيحية الان تنيف عن أضعاف المملكة الرومانية

أن مؤسس المسيحية « المصلوب » يفوق جميع مؤسسى الحكومات والمشرعين العظام والأبطال الصناديد وحماة الأمم فلم يفكر واحد فى ما فكر فيه هذا الشخص العجيب بل أن أفضلهم وأعظمهم وقف نفعه بالأخص على قومه أو امته أو مملكته . أما يسوع ذاك النجار الجليلى البسيط فله ما لم ينسب لأولئك . ذاك الذى لم ير خارطة واحدة للعالم فى كل حياته ولا سمع بأخبار ولو نصف الامم العظيمة التى تسكن على سطح الكرة . عاش زمناً فى أجمل ولايات فلسطين فى حالة الفقر مشتغلا بيديه تحت ظلال دكان النجارة بعيداً عن المدارس والجمعيات والمكاتب ، لاحظ له فى وسائل المدنية الاجتماعية ولا التربية العصرية ولم يكن له منها سوى عناية الأم وكتاب الطبيعة ونسخة العهد القديم وشركته الداخلية مع ابيه السماوى . ومن ذلك قام استغراب اليهود وكل معارضيه الذين سمعوا أقواله الدهشة فزاد عجبهم قائلين « أليس هذا ابن النجار! فمن أين له هذه الحكمة وهو لم يتعلم قط » ؟ .

ومما يدعو الى الغرابة أكثر أننا نراه يشرع وهو خارج من دكان النجارة فى مشروع أصعب وأوسع من مشروع نابليون لأنه قصد بمشروعه

خضاع العالم كله لذاته . وزاد عن نابليون بانه قصد أخضاعه بعمل المحبة الالهية . على انه مهما يقال فى أمر نوابغ الارض فكان لابد من توالى السنين وكثرة الايام لأعداد عقولهم وصفاتهم حتى يمكنهم الظهور بين الناس وندر من ظهر منهم فى شرخ شبابه وأتم عملا يذكر وهو فى سن الثلاثين من عمره نظير اسكندر المكدونى الكبير . ولكن هذا كان سفا كا للدماء قضى حياته يعيث فى الارض فساداً ثم مات أخيرا مغلوباً من شهوته و بعد أن شاد أعظم مملكة لعبت بها أيدى الضياع واندثرت بعد مماته . أما يسوع المسيح بشير السلام فانه مات منتصرا وملكه الروحى دائم الى الابد .

ان أغلب اليهود الذين سمعوا كلام يسوع عن تأسيسه مملكة ليست من هذا العالم كانوا يرمونه بالمروق عن جادة الصواب بل كانوا يحتقرونه وذلك لأنهم كانوا ينظرون لضعف الشخص المنظور لهم ولم يدركوا أن كلام هذا الناصرى يتم بعد موته بوقت قليل حيث أخذت مملكته تمتد حتى الى بيت القيصر . وما كان أدعى للاندهاش قول مؤسس المسيحية «أن حبة الحنطة ما لم تسقط فى الأرض وتمت فلا تثمر» فهو يعلق نجاح ديانته على موته . وفى هذا معجزة غريبة . ملك يحتفل بتنصيبه وهو معلق على الصليب ! و يتوج باكليل شوك ويملك وهو بين ثنايا القبور! لامراء ان الذين قاموا ليؤسسوا الممالك هم رجال غيورون عظام ذوو بأس وقوة لهم عدة وسلاح اما مؤسس المسيحية فقد ابتدأ بتأسيس مملكته بروح الهدوء والرزانة وعمل بدون مظاهرة ولا طنطنة وختم حياته بالموت معتبرا ان هذا هو النصرة .

ترى قادة الامم وأبطالها لا يخالطون الا العظماء لكى يكونوا لهم عضدا فى مهام الامور، أما قائد المسيحية و بطلها فلم يهتم الا بالفقراء ولم يهتم بهم فقط بل سر أن يكون واحداً منهم « الذى افتقر لاجلنا وهو غنى » كو ٨ : ٩ كما أنه لم يكن محاطا بحزب ، ولا معضدا من فئة من الناس تعاونه على مشروع تأسيس مملكته ، ولا جعل لذاته شهرة خاصة ولا امتيازا معلوما « بل أخذ صورة عبد صائرا فى شبه الناس » فى ٢ : ٦ — ٨

قال ثيودو باكر عن يسوع « أفحصه كما تفحص المعلمين الآخرين انهم يلقون تعاليمهم على الناس فيقوم بعدهم افراد قلائل من المنتظرين تعزية فى تلك التعاليم و يقبلون البشائر الجديدة و يتبعون الطرق الجديدة ولكنهم لا يلبثون حتى يفوقوا معلميهم و يزيدوا شهرة وعملا عن مرشديهم بقدر ما تكون عقولهم أقوى واكبر من أولئك المعلمين ولكننا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور نرى اليوم ما لم يره سقراط ولا غيره من العلماء . نرى بعد مرور تسعة عشر قرنا على بزوغ شمس الانسانية ان يسوع هو الشمس العالية التى لا تعلوها شمس فى الوجود . للان لم يستطع فرد او جماعة ان يحيطوا علماً بكل افكاره او ادراكا بجميع طرقه وان يطبقوا حياتهم تماما على مثال حياته »

هذا ولم يأتنا التاريخ بخبر رجل عاش هكذا وديعاً ناكرا ذاته انكارا لا نظير له كما واننا لم نسمع عن نجاح باهر صادف عملا كالنجاح الذى صادف عمل هذا الرجل الوديع . هو المولود فى مذود البهائم ،

والمصلوب على خشبة الصليب كمجرم ، قد ساد الان على ممالك العالم المتمدن وخضع لسلطانه ما يزيد على ثلث سكان الكرة الأرضية

فهل خطر لأحد فكر كهذا ان يكون موته سبباً لانتشار ديانة عظيمة كهذه ؟ قيل « حاول ليبيه الفيلسوف الفرنساوى ان يخترع ديناً فخاب مسعاه فذهب لاستشارة تاليرند المشهور فقال له هذا : « يامسيو ليبيه لقد شرعت في امر خطير اذ ليس من السهل انتشار ديانة جديدة . ولا اعرف كيف تنجح . الا انى اشير عليك ان تموت صلبا وتقوم من بين الاموات فى اليوم الثالث » أهـ .

الفصل الثانى

رسل الصليب

لنلتفت الآن الى الذين فوض اليهم نشر الانجيل . فن هم الذين أرسلوا ليكرزوا بالمسيحية للخليقة كلها و يتلمذوا جميع الأمم . ربما يخال للبعض اذ يرون النجاح العظيم الذى لازم المسيحية أن وسائط نشرها كانت متوفرة ولكن لدفع هذه الشبهة نقول : ان السيد له المجد لم يؤلف مملكة ويحشد جنوداً و يعبىء عساكر تدافع عن دينه الجديد ولكنه لم يترك لهم الا تلاميذ لا صولة ولا قوة لهم ولم يترك سيرة محبته التى أشعلت فى قلوبهم محبة لم يقدر أعداؤهم بمرارة قلوبهم أن يطفئوا نيرانها المتأججة . وعندما خرجوا الى العالم لم يكن عندهم سوى محبته التى كانت كنزهم الوحيد الذى لا ينفذ . بل هم نفر قليل بدون ادنى أهلية ولاجدارة لهذا العمل العظيم ، وفى ضعفهم برهان كامل على أن نجاحهم من الله لأنهم لم يكونوا فلاسفة ولا خطباء ولا معلمين بل هم من قبيلة من البشر معتبرة عند اكثر الامم محتقرة يزدرى بها الجميع ازدراء خصوصيا . ومن الفئة الاقل اعتبارا فى تلك القبيلة وكانوا فقراء وضعفاء مهانين لم يعرفوا من المصالح العالمية سوى جباية العشور وصيد الاسماك ، ومن اللغات سوى لغة الجليل .

لكن والحالة هذه أرسلهم سيدهم لكى يكرزوا لجميع الامم

والقبائل ويجولوا مبشرين ببشارة الخلاص . ومن المدهش أنهم كانوا يتكلمون بلغات عديدة لم يدرسوها بل أرشدهم اليها روح الله . واقتحموا أسوار الديانة اليهودية الشامخة وسحقوا قوة الوثنية المحاطة بحصون الرذيلة والفساد والمصانة بمكر الكهنة وتقاليد العصور القديمة ثم دخلوا مدارس الفلسفة العظيمة و بكتوا عجب أولئك الفلاسفة وافهموهم أن الله جهل حكمتهم . وفي هذا يصح قول يوحنا فم الذهب (١) «أين تعاليم أفلاطون وفيثاغورس وفلاسفة أثينا ؟ قد تلاشت كلها . ولكن أين تعاليم صانعي الخيام وصيادي السمك ؟ انها ليست في بلاد اليهود فقط بل يمكننا سماعها أيضا باللغات الاخرى ألا ترون أن السكيثيين والهنود والمغاربة والبريطانيين المستوطنين أقصى أطراف العالم حاصلون على هذا التعليم الجليل . قد ترجم الانجيل الى لغتهم فوجدوا فيه الحكم الحقيقية . أينما ذهبتم تسمعون أسماء صيادي السمك الجليليين من كل لسان . ذلك لأن هؤلاء الصيادين لم يكونوا أفضل من غيرهم من البشر بل من جراء قوة المصلوب الذي أعد الطريق لهم والذي صير الجهال أحكم من الفلاسفة »»
أ هـ

إن سلسوس عدو المسيحية عاب على الدين المسيحي انتصار الفقراء له بقوله «أن النساجين والاسكافيين والنجارين والصباغين وأحط الناس تربية وعلماً هم الذين نراهم أشد الناس غيرة على هذا الدين المسيحي . انهم طبقة من الناس لا يستطيعون أن يفتحوا أفواههم

---

(١) عن كتاب «خطيب المدينتين» أو تاريخ حياة يوحنا فم الذهب للمؤلف

فى حضرة العلماء وليس لهم نفوذ الا على النساء والاطفال » فرد عليه ترتوليانوس مفتخراً ببساطة الانجيل كبرهان على سموه الالهى « ان كل صانع مسيحى بسيط قد وجد الله وهو يستطيع أن يدلك عليه و بلا جدال يقدر أن يدرك كل شىء من الأمور المطلوب معرفتها فى الله ولو قال أفلاطون أنه ليس من السهل أن نجد الخالق ومتى وجدناه يستحيل أن نجعله معروفا عند الكل »

ومما يجعل نجاح الرسل البسطاء من أهم المعجزات هو أن التعاليم التى علموا بها لم تكن مناسبة لاغراء الناس وتمليقهم بل كانت منافية لعقولهم جداً . فلا يخفى أن المزورين عندما يريدون اذاعة ديانة جديدة يجتهدون فى جعل تعاليمهم ورسومهم مناسبة لذوق الذين يقصدون تلمذتهم ولكن واضعى الديانة المسيحية لم يسلكوا مثل هذه الطرق المرضية للبشر، بل كان أول ما طلبوه أن ينكر الانسان نفسه ويحمل صليبه وكانوا يأمرون بالتوبة عن كل الخطايا مهما كانت متملكة أو لذيذة . وكانوا يطلبون طلبا جازما بترك جميع الأملاك والأصحاب لأجل المسيح . وعلى ذلك فقبول الناس لتعاليم كهذه من أناس سذج كهؤلاء من الغرائب لأنه لم يكن فيهم علم ولا حكمة لكى يجعلوا فى عقول الناس تأثيراً كافيا لاحداث مثل هذه الحركة . لأنه من أين لهؤلاء الضعفاء الاستطاعة على اقناع عقول الناس المقاومين بحقائق لا يقبلها العقل بداهة ولا تلائم الطبيعة البشرية . ومن أين للصيادين والعشارين والجهلاء أن يقوموا فى وسط مملوء من الافكار المتنوعة و بين قوم كلهم تعصب و يذيعوا مبادىء دين قد أهين صاحبه وقتل صلباً و ينادوا الناس للايمان بهذا المصلوب

و يبشروا بين الأمم الوثنية بمبادىء ترفضها ديانتهم و يعلموهم بأن يصدقوا أموراً لم يشاهدوها وتعاليم لا توافقهم . وكيف يمكن لهؤلاء المساكين قوة الاقناع في زمان كثرت فيه الاراء الفلسفية لولا أن الله صاحب هذا الدين هو الذي تعهد بانتشاره وقام باذاعة مبادئه متخذاً هذه الوسائط الضعيفة وسيلة لاظهار قوته ليؤيد ألوهية مصدر ديانته التي يجب أن تجل عن اتخاذ طرق الارهاب والاغراء وغيرها من الوسائل البشرية .

وأية معجزة قاهرة أبهر من هذا النجاح الباهر فان التقدم السريع الذي لازم هذه الفئة القليلة لهو معجزة المعجزات وأعجوبة كل العصور، لا ينكرها من يجسر على انكار المعجزات ولا يختلف في صحتها اثنان

ألا فليبطل افتخار اليهود بهليل وشمعي ، وليكف اليونان عن الاعجاب بأفلاطون وزينون وأبيكورس لأن هؤلاء لم يستطيعوا أن يعملوا عملا مما عمله هؤلاء الرسل المساكين الذين لم يدرسوا في مدارس أثينا ولم يخطبوا الخطب الفلسفية العميقة بل فقط نادوا « بيسوع واياه مصلوبا » تلك المناداة التي ما فتئت تفعل في النفوس فعلا عظيما حتى ضمت تحت لوائها أفراداً عديدين من كل أقطار المسكونة .

الفصل الثالث

اتباع الصليب

« دم الشهداء بذار الكنيسة » (كبر يانوس)

مما يدعو للدهشة أن وسائل التعذيب التى تجرع كؤوسها المسيحيون الأول كانت من أقوى العوامل فى نشر المسيحية وازدياد تابعيها حتى ان الذين قبلوها فى ابان الحزن والضيق كانوا أكثر من الذين قرعوا أبوابها فى زمن الراحة والسلام ومع أنهم رأوا وعلموا أن السيف والنار سيلاقيان كل مؤمن فقد قبلوا ذلك بكل فرح وسرور وضحوا بدمائهم التى كانت بمثابة سماد قوى المفعول للكرم الالهى الذى أينع بها ، وأثمر الأمر الذى جعل الأعداء يلقون سلاحهم لئلا تبتلع المسيحية مملكتهم

وان القلم ليعجز عن وصف هول الاضطهادات المريعة التى هطلت نيرانها على رؤوس المسيحيين ، فان الاعداء أذاقوهم أشنع ضروب العذاب المريعة التى تقشعر من ذكرها الابدان . فاحرقوا البعض من المسيحيين بلظى النيران ليكونوا مصابيح فى الظلمة وعلقوا البعض منهم على الصلبان وألبسوا كثيرين منهم جلود الوحوش وأخرجوهم للفرجة ثم قدموهم للأسد فمزقتهم وقتلوا الكثيرين بطرق متنوعة واستعملوا الآلات الحادة لتهشيم أعضائهم وسحق عظامهم وأوقدوا الحديد بسعير

النيران الملتهبة وأجلسوا بعض المسيحيين عليه حتى ذابت لحومهم . وتجرع المؤمنون من الآلام المرة فى تلك الازمان ما يشيب لهولها الولدان اذ اتحد عليهم الولاة الرومانيون مع الشعوب الوثنية لغرض واحد هو أستئصال دين المسيح واستعملوا كل قوة بشرية فى تعذيب المسيحيين وقتلهم حتى أنه فى وقت وجيز جداً كثر عدد الذين استشهدوا . وقد أخبر مؤرخو تلك العصور أن الجوع أو الحرب أو الوباء لم يهلك فى وقت ما أكثر منهم . قال كبريانوس : وكانوا وهم فى العذاب أشد وأقوى من معذبيهم وكانت أعضاؤهم المرضضة وعظامهم المهشمة قاسية على الآلات التى تسحقها وتقطع لحومها ، والجلدات المتواصلة لم تقو على زعزعة ايمانهم المنيع مع أنها كانت تقطع لحومهم أرباً وتمزق أمعاءهم أيضاً » هذا ما قرره بعض الذين استمروا يكابدون ذلك الى نهاية الحياة

ولما تشتت المؤمنون من أورشليم من شدة الاضطهاد جالوا مبشرين بالكلمة وفى أقل من ثلاث سنوات نظمت كنائس كثيرة فى كل اليهودية والجليل والسامرة . ثم بعد ذلك كرز بالانجيل بين الأمم . وهكذا أخذ العمل يتقدم فلم تمض ثلاثون سنة من موت المسيح حتى انتشرت كنيسته فى اليهودية والجليل والسامرة وفى نحو كل مقاطعات آسيا الصغرى العديدة وفى بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وسواحل أفريقيا وفى أيطاليا ورومية ايضا . وكان عدد المؤمنين فى كل مدينة يذكر مقرونا بهذه العبارات وهى « عدد عظيم » و « جماهير كثيرة » و « جمع كثير »

فالأمر واضح من التاريخ ان الديانة المسيحية غلبت واتسعت

فى مدة قصيرة فى اماكن شتى وهذه الاماكن لم تكن منفردة ولا بعيدة عن نور العلم ولكن كانت من المدن العظمى فى تهذيب أهلها وتمدنهم وكان فيها كل نوع من علوم ذلك العصر واليها كانت تتقاطر العلماء فكانت دمشق وانطاكيه وأفسس وكورنثوس وفيلبى وورومية هى الاماكن التى أشرق فيها نور الانجيل أولا . وعلى ما يعرف لم توجد مدينة شهيرة فى المملكة الرومانية الا وقد تأسست فيها كنيسة مسيحية قبل موت الرسل ولا يخفى ان هذا الامر لم يكن فى قرن مظلم بل كان فى قرن يعترف الجميع بأن العلوم الفلسفية وصلت فيه أقصاها اذ جاء بعد القرن الاوغسطانى الذى اشتهر لدى الخاص والعام بالعلماء الماهرين والادباء البالغين . فلو كان الانجيل مزوراً لما كنا نرى المبشرين يذهبون به أولا الى مثل هذه الاماكن . ولو ذهبوا لانكشف أمرهم فى الحال .

يقول تاسيتوس أنه لم تأت سنة ٦٠ للميلاد الا وكانت روميه مليئة بالمسيحيين حتى أنه لما أثار نيرون الدموى اضطهاده الأول استطاع أن يقبض بسهولة على كثيرين منهم و يقول افيلنيوس الحاكم الرومانى على بنطس و بيثينيه فى رسالة له أنه فى سنة ٧٠ للميلاد انتشرت المسيحية فى هاتين الولايتين مع انهما بعيدتان جداً عن أورشليم وأن كثيرين من كل عمر ودرجة ، ذكورا وأناثا ، يساقون من وقت لآخر الى محافل القضاء حيث يشتكى عليهم من جهة عقيدتهم .

وعليه فان نجاح المسيحية بهذه الطرق البسيطة هو من معجزات التاريخ مما يدل صريحاً على مصدره الالهى فلا ينسب تقدمه الغريب الا

الى أنه من الله ولا صفاته السامية فعلت فى الناس هذا الانقلاب العجيب . لان الدين الذى قام به يسوع المصلوب المحتقر. الدين الذى يعلم الناس أن يكونوا ودعاء متفقين يحتملون الظلم ولا يعملون الاساءة الدين الذى ينجح و يتقدم مع وجود كل القوات المختلفة الكافية لأطفاء كل قوة ضدها و يتغلب عليها جميعها و يقهرها تحت سلطانه بل و يستخدمها فى نجاحه لهو دين الله المؤيد منه تعالى . وان نجاحا هذا مقداره لابد وان يكون منشأه قوه الله غير المحدودة وقيامة المسيح المجيدة

ثم أن ما أحتمله المسيحيون الاولون من العذاب لاجل ديانتهم كان شديدا و يشهد به الجميع من يهود وأمم . والذى يثبت برهاننا أنه كان يمكنهم الخلاص حالا من عذابهم لو رفضوا الديانة المسيحية ولم تكن عند مضطهديهم غاية سوى الجائهم الى ذلك . وكانوا يخيرونهم دائماً بين تقديم الذبيحة والبخور لالهتهم ، و بين احتمال العذاب . فقد كانت كلمة واحدة كافية لخلاصهم وعمل هين كافياً لرجوعهم الى خيرات العالم وملذاته ولكنهم تمسكوا بما كانوا عليه اشد التمسك . نعم ان بعضهم سقط من شدة قساوة المعذبين ولكن لم يسمع قط عن احدهم انه كان منافقا او مراوغا بل ان الذين خانتهم شجاعتهم فى ساعة العذاب لم يزالوا متأسفين على ضعفهم كل ايام حياتهم وهكذا لم يقتل احد لاجل الديانة المسيحية قهراً بل كان كل شهيد يبذل نفسه باختياره تمسكا بالحق وحفظا لسلامة الضمير.

قال بعض المؤرخين « يجب النظر الى مصائب المسيحيين الأولين

من وجه آخر وهو السجايا التى ظهرت منهم حينما كانوا يحتملون كل نوع من العذاب فان اناسا من كل سن ورتبة ، ذكورا واناثا قد اظهروا تحت العذاب الأليم المستطيل شجاعة وصبراً لا نظير لهما فى تاريخ جميع العالم . لقد فرحوا عندما امسكهم الظالمون وتودعوا من اقرب الاهل واعزهم بكل بشاشة ، ودخلوا فى النار بكل سرور ورحبوا بالوحوش الضارية التى اطلقت عليهم لتفترسهم وتبسموا لما رأوا تلك الآلات التى تمزقت بها لحومهم وانخلعت مفاصلهم وتكسرت عظامهم ، وعندما حكم عليهم بالموت لم يظهر عليهم اى تألم بل طلبوا من أصحابهم أن لا يتعرضوا فى سبيل سعادتهم (أى الموت) واتصالهم بالله ولو بالصلوات لاجل نجاتهم »

فما هذه الشجاعة الفائقة القدرة البشرية ؟ وأى روح عاون هذه الجماعة الحقيرة المضطهدة ؟ واية مبادىء طبيعية فى تركيب الانسان تكون علة كافية لهذه الغلبة على الألم والموت ؟ أكانوا يحتملون كل ذلك لو عرفوا أن دينهم هو زور وبهتان ؟

ان نساء شريفات وشيوخا طاعنين فى السن كانوا اشجع من الشبان والاقوياء إذ كانوا يسلمون فى انفسهم حتى الموت وشهدوا او ختموا شهادتهم بدمائهم والان قد تسربلوا بثياب بيضاء وهم يسبحون تسبحة موسى والخروف والأغصان فى ايديهم . فطوباكم أيها الشهداء لقد استرحتم من اتعابكم واعمالكم تتبعكم .

اجل . بمثل هذه الظروف كانت الكنيسة محاطة فى تلك الايام غير انها لم تقف عند حد محدود بل جعلت تتقدم وتمتد وتقوض اركان كل

ما تراه معوقا لسيرها و بعد مدة ٣٠٠ سنة من بدء تأسيسها صارت دين المملكة الرومانية الرسمي وسقطت الديانة الوثنية العظيمة حتى صرخ آخر قياصرة الوثنيين الرومان عند موته قائلا : « لقد انتصرت اخيرا ايها الجليلي » (١)

(١) هو يوليانوس قيصر الذى كان مسيحيا وارتد عندما جلس على العرش و بدأ يقاوم المسيحيين ومات وهو فى موقعة حربية وأخذ حفنة من دمائه ورشها فى الفضاء وصاح قائلا : غلبت ياجليلى

الخاتمـــة

« روح الـرب علـى لأنـه مـسحنـى لابشر المساكين .
أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين
بالاطلاق وللعمـى بالبصر وأرسل المنسحقين فى
الحريه » لو ٤ : ١٨

منذ تسعة عشر جيلا وكثير من الناس الذين ساءوا فهم المسيحية يعبدون الضعف بشخص يسوع ، و يسوع كان قو ياً ولكنهم لا يفهمون معنى القوة الحقيقية

لقد أفضنا فى الباب الثالث فى وصف ضعف المسيح المتأنس وهذا لا يؤخذ منه أن يسوع كان ضعيفاً فى كل شىء . حاشا . لأنه كان قو ياً فى ارادته . قو ياً فى حجته . قو ياً فى أعماله . قو يا فى كل شىء غير أنه تجرد مما يقال له « القوة العالمية » أى أنه لم يقم بتعزيز دينه بقوة بشرية ولا بمساعدة وسائط زمنية .

لقد رأينا يسوع الناصرى مولوداً كالفقراء ، عائشا كالمساكين مهانا ، كالضعفاء مصلوبا كالمجرمين فنبكيه ونرثيه وننديه وهذا ما نفعله لتكريمه .

كلا ! ما عاش يسوع مسكينا خائفا . ولم يمت شاكيا متوجعا بل عاش قويا . وصلب شجاعا . ومات جبارا

لم يكن يسوع طائراً مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الاجنحة المعوجة

لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش اعداءه ولم يتوجع أمام قاتليه بل كان حراً على رؤوس الاشهاد . جريئا أمام الظلم والاستبداد . يرى الأمراض الروحية فيبضعها . و يسمع الشر متكلما فيخرسه . و يلتقي بالرياء فيصرعه

* * *

الا أيها الجبار المصلوب

الناظر من أعالي الجلجثة الى مواكب الاجيال . السامع ضجيج الامم . الفاهم ما يجري تحت ستار الظلام . أنت على خشبة الصليب المضرجة بالدماء أكثر جلالا ومهابة من الف ملك على الف عرش في الف مملكة . بل أنت بين النزع والموت أشد هولا و بطشا من الف قائد في الف جيش في الف معركة لانك بضعفك و بصيادى السمك و باضطهاد شعبك أسست مملكة عظيمة دالت لها كل الاعناق

أنت بكآبتك أشد فرحا من الربيع بأزهاره . أنت بأوجاعك اهدأ بالا من الملائكة بسمائها . وأنت بين الجلادين أكثر حريه من نور الشمس .

ان اكليل الشوك على رأسك هو أجل وأجمل من تاج بهرام (١) والمسمار في كفك اسمى وأفخم من صولجان المشترى ، وقطرات الدماء على قدميك اسنى لمعاناً من قلائد عشتاروت (٢)

---

(١) بهرام شاه العجم

(٢) عشتاروت آلهة للصيدونيين (قض ٢ : ١٣) ودعيت هذه الالهة ملكة السماء ولذلك قلدها عابدوها بقلائد من أنفس الجواهر ضرب بها المثل للأشياء الثمينة .

فسامح أولئك الضعفاء الذين ينكرون ألوهيتك والذين يهزأون بدينك . واغفر لهم لانهم لا يعلمون بانك صرعت الموت بالموت ووهبت الحياة لمن في القبور

* * *

وختاماً نرحب بذلك اليوم السعيد الذى فيه تسود المبادىء المسيحية على كل العالم وتتشرب بتعاليمها فعلا لا اسما فتنمو روح الفضيلة والصدق والرفق والمحبة والتواضع والرحمة والاخاء والمساواة وتتلاشى الضغائن والاحقاد بين عناصر البشر المختلفة و يصبح العالم باجمعه ملكا للمسيح خاضعا لسلطانه .

فى ملء الزمان

بينما كان هذا الكتاب ماثلاً للطبعة الأولى سنة ١٩٢٠ اطلع على الأصول حضرة الاستاذ الفاضل خليل افندى رزق فاتحفنا بكلمة ثمينة جادت بها قريحته النيرة ادرجناها هنا مع الشكر الجزيل ونحسبها طرفة شهية تروق لحضرات قراء كتابنا الكرام فيقتطفونها بشوق ورغبة لما حوت من جليل اللفظ و بديع المعنى ، وها هى : —

عبد المصريون قديما العجل أبيس وعبد الرومان جو بتير والهنود برهما والصينيون كونفوشيوس . وكل يعتقد أن معبوده مظهر من مظاهر الخالق ، به يتقرب اليه زلفى فدل هذا على حاجة البشر بالفطرة الى وسيط يكون حلقة الا تصال بين الخالق والمخلوق و يكون مثلا أعلى ونموذجا كاملا فى التقى والقداسة

(وفى ملء الزمان) جاء يسوع بهاء مجد الله ورسم جوهره واتخذ جسدا و ولد من عذراء كى يدرك البشر به الله و يرونه فيه . جاء نوراً للعالم فأكمل الشرائع على مقياس المحبة وانكار الذات . وأمر بمحبة العدو واستعمال الخير سلاحا لغلبة الشر وعلم بطهارة القلب والفكر وأسس مملكته لا بقوة السيف ولكن بقوة المحبة فاصبح عدد تابعيه ٧٠٠ مليون مع

[illegible] [illegible] لحقهم من الاضطهاد [illegible] حرقوا احياء وأمواتا واحتملوا [illegible] ذلك بفرح ، ولسان حالهم [illegible]

انــى أحـــب الـــرب لا	لأربـــح الـــنــعيم
ولا لـــكـــى أنجـو مـــن ال	عـــذاب فـــى الجـــحيم
لـــكـــن أحـــبـــه لان	لـــى حـــبـــه يحـــلـــو
وهــو الـذى مــن فـضـلـه	أحـــبـــنـــى قـــبـــل

فوجود المسيحية اليوم هو معجزتها وسيطرتها ، على عالم الادب والسياسة دليل على قوة تأثيرها .

وكما أن نور الشمس لا يخفى الا على من أظلمت بصيرته كذلك لا يرى جلال « شمس البر» من وضعوا على عيونهم حجابا كثيفا وأوصدوا قلوبهم واسكتوا ضمائرهم بل أماتوها حتى لا يزعجهم تبكيتها . وقد كثر أمثال هؤلاء الذين أخذوا من العلوم قشورها وخالوا أنفسهم من الراسخين غير انه قد طاش سهمهم وخاب ظنهم فانهم بذلك عجزوا عن معرفة ما يدريه البسطاء ولقد صدق في ذلك قوله له المجد « اخفيت هذا عن الحكماء والعلماء واعلنته للاطفال » بيد انه لا مراء في ان كتاب « الدليل الصحيح » هذا من اهم الكتب التى تقود من يطالعها الى « قديم الأيام » و « ملك الدهور» وهذا مما يسر كل محبى صهيون .

خليل رزق

تحفة نفيسة

لقد اتحفنا حضرة الفاضل الشيخ اسكندر عبد المسيح الباجورى بقصيدة نفيسة تبرهن على شديد اخلاصه لكنيستنا القبطية . ولا غرو فانه معروف بمؤلفاته العديدة وقصائده ومقالاته التى ملأت أعمدة جريدة الحق فله منا الثناء . وهذه هى قصيدته الغراء ،

للقبط فى مرقى العلى وثبات ... ولهم جهاد فى الملا وثبات
قطعوا العهود لمرقس وتمسكوا ... بعهودهم فأعزهم سادات
مذ جاء كاروز الديار مبشراً ... فتتلمذوا وتحسنت عادات
عاشوا بجد حافظين لعهدهم ... فى الأرثوذكس حياتهم وممات
عاشوا بايمان قويم مقنع ... شهدت لهم فى الله مؤتمرات
تقليدهم من عهد وحى مسيحنا ... اصلاحهم سجدت له الهامات
حفظوا « الكتاب » وترجموه بدقة ... لم يثنهم ظلم ولا عثرات
سنوا لنا قانون ايمان به ... محق الجحود وجله فقرات
من بعد ذا جاء الرجيم بجنده ... فأصابنا ضربه وشتات
كثر اضطهاد الظالمين وبغيهم ... فاستشهد الآلاف والربوات
ولقد صبرنا فى قرون قد خلت ... حتى خلت منا مديريات
عاث العدو فساده فى أرضنا ... وبديننا منكرات الظلمات
فتضافر الشيطان مع أعدائنا ... بين الانام فساءت الحكايات

وانحط شعب الله من عليائه   وطغى البغاة فهاجموا وأماتوا
بدأ التنور فى البلاد مشوها   فأضاع شبانا لهم نفثات
فتدرونوا وتمسكوا بطبيعة   و بدت لهم فى كفرهم همزات
ظن العدو بأننا فى هزمة   أو اننا موتى وليس حياة
واذا « منسى » فى ميادين الهدى   أبدى جهاداً كله حسنات
ينسى « منسى » أنه نسل الالى   منهم جنود انجدوا ورعاة
نسل القمامصة الكرام وآله   كانت لهم فى ديننا نصرات
لا ريب ان الشبل يشبه والدأ   حكم الطبيعة فى الانام عظات
رباه شماس الشموس « حبيبنا »   رأس الرؤوس بعلمه يقتات
فأجاد تربية أتت بنتائج   نعم النتائج والعلوم هبات
رباه مجتهداً وهذا ضوءه   باد بمجد كله آيات
فأتى بكتب كالكتائب منجداً   واذا عددت فانها عشرات
لكن أنفعها لارباب الحجى   هذا الكتاب وهذه الصفحات
هذا الصحيح من الأدلة كلها   تأثيره زادت به النفحات
و يليه « نور باهر » من قصده   شرح الكتاب كأنه نغمات

اسكندر عبد المسيح الباجورى

فهـــــرس

صفحة

٥ مقدمة

٨ الباب الأول — شهادة العظماء للمسيح

١١ الفصل الاول — شهادة العظماء للمسيح قبل ظهوره

١٦ الفصل الثانى — شهادة العظماء للمسيح فى ابان ظهوره

٣٨ الفصل الثالث — شهادة العظماء للمسيح بعد ظهوره

٥٦ الباب الثانى — فضل المسيحية

٥٨ الفصل الاول — عحز الشرائع عن تخليص الانسان

٦٣ الفصل الثانى — العالم والمسيحية

٧٣ الباب الثالث — معجزة المسيحية

٧٨ الفصل الاول — الصليب

٨٣ الفصل الثانى — رسل الصليب

٨٧ الفصل الثالث — اتباع الصليب

٩٣ الخاتمة

٩٧ فى ملء الزمان

٩٩ تحفة نفيسة

مــؤلفــات
المرحوم القسي منسي يوحنا

كتاب تاريخ الكنيسة القبطية
« طريق السماء
« يسوع المصلوب
« حل مشاكل الكتاب المقدس
« قارورة طيب كثيرة الثمن
« شمس البر
« النور الباهر فى الدليل الى الكتاب الطاهر
« الدليل الصحيح على تأثير دين المسيح
« كمال البرهان على حقيقة الايمان
« خطيب المدينتين او تاريخ يوحنا فم الذهب

تطلب من
ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية
بشارع جزيرة بدران بشبرا مصر

٨٤/١٥٤٤

٩٧٧ ــ ١٨٧ ــ ٠٤٣ ــ ٤

طبع بشركة هارمونى للطباعة

تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

مجموعة مؤلفات

(القس منسى يوحنا)

- **طريق السمـاء**
- **يسوع المصلوب**
- **شمس البـر**
- **النـور البـاهـر**

(فى الدليل إلى الكتاب الطاهر)

- **قـارورة طيـب كثـير الثمن**
- **كمال البرهان عـ**
- **حل مشـاكل الـ**
- **حيـاة آدم**
- **تاريخ الكنيسة الـ**

مكتبة المحبة: ٣٠ شارع شبرا - القاهرة
ت: ٥٧٨٢٩٣٢-٥٧٥٨٢٦٢ فاكس: ٥٧٧٧٤٤٨ - ٥٧٥٩٢٤٤